

**نديم محمد**

شاعر العناكب والألم



ندوة الأربعاء الثقافية الشهرية  
(الرابعة)

# نديم محمد

## شاعر العناكب والألم

إعداد وتوثيق  
د. إسماعيل مروة  
نزيه الخوري

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب  
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٧م

---

نديم محمد شاعر العناكب والألم / إعداد وتوثيق إسماعيل مروة،  
نزيه الخوري .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٧ .-  
١٥٢ ص ؛ ٢٤ سم

ندوة الأربعاء الثقافية الشهرية الرابعة

١- ٨١١,٩٥٦١٠٠٩ م ر و ن ٢- ٨١١,٩٥٦١  
م ح م ن ٣- العنوان ٤- مروة ٥- الخوري  
٦- محمد

مكتبة الأسد

---

## نديم محمد...

### شاعر الآلام والعناكب

إذا عدّ الشعراء المجلّون في شعرنا العربي عموماً والسوري خاصةً، فإن نديم محمد واحد في طليعة هؤلاء الشعراء .

وإذا أردنا معرفة شعراء الرومانسية والحلم بعالم أفضل فإن نديم محمد يمثلهم في الشعر العربي خير تمثيل .

وإذا بحثنا عن الشعراء المرتبطين بوطنهم وأرضهم وبيئتهم الضيقة، ووطنهم العربي الكبير، وهم يحلمون بمجده ووحده وخلوده فنديم محمد كان الشاعر الذي يطلق نداءاته وصرخاته في مجد الأمة العربية، وهو الشاعر العروبي حتى النخاع.

وإذا كان شاعرنا قد عَنَوْنَ مجموعات: آلام، فراشات وعناكب، فقد عَنَوْنَ مجموعات أخرى: صراع الثأر، رفاق يمضون، فقد كان ثائراً محارباً للفساد ومظاهره، وكان وفيّاً لأصدقائه ومبادئه حتى أخريات أيامه .

ولأن شاعرنا اختار البقاء في مدينة جبلة بعيداً عن المركز الأساسي العاصمة والمدن الكبرى، فقد ناله ونال شهرته الكثير من الحيف والظلم، وهو الشاعر الذي لا يُجارى في الحديث عن

المتألمين والوطن والفقراء والأصدقاء، ومن قَبْلُ هو شاعر غزل متفرد، اختطَّ لنفسه مذهباً في شعر الغزل غير آبه بالقيود الاجتماعية .

آراء نديم محمد في الفكر والاعتقاد والغزل آراء خاصة ومخالفة، لم يستوعبها مجتمعه وهو لم يجامل المجتمع في شيءٍ مما يريده، لذلك صار الشاعر منعزلاً في صومعة .

وحين طُرِحَ اسم نديم محمد بين الشعراء الذين سيتم تناولهم في ندوة الأربعاء الثقافية الشهرية، لقي الطرح ترحيباً وتشجيعاً من السيد الوزير محمد الأحمد وتابع لإنجاز هذا التكريم لشاعر من الطبقة الأولى بين شعراء سورية وكانت بحوث الندوة :

- نديم محمد حياته وشعره للأستاذ الأديب «مالك صقور» وهو الذي عايش الشاعر ودرس شعره منذ زمن بعيد .
- نديم محمد وموضوعاته وشاعريته للأستاذ الدكتور «محمد رضوان الداية» وهو الباحث التراثي والأدبي، والناقد المتمكن الذي عشق شعر نديم محمد .
- نديم محمد ومضات من شعره للأستاذ الدكتور «رياض العوادة» أستاذ الأدب الحديث بجامعة دمشق .
- سمات شعر نديم محمد للدكتور «إسماعيل مروة» .
- مختارات من شعر نديم محمد، خاصة أن ديوانه عزيز وغير متوفر بين أيدي جمهوره القراء ومتذوقِي الشعر الأصيل،

وشعر نديم محمد من هذا الشعر الذي يمتلك من الأصالة  
الكثير .

الندوة أقيمت بدعم وتوجيه من وزارة الثقافة، ومن السيد  
الوزير شخصياً فأعاد الألق إلى المنبر من خلال استحضار  
شاعر ملك قدراً عالياً من الخصوصية ولقي تكريماً كُـلِّـلَ بمنحه  
وسام الاستحقاق بعد الوفاة، وبطباعة ديوانه طبعة فاخرة في  
وزارة الإعلام .

والأمل يحدونا أن تتم طباعة آثاره بعناية وزارة الثقافة،  
وبإشراف لجنة خبيرة، وبطبعة شعبية تنهياً لقراء الشعر .  
والذي نرجوه أن يكون هذا الكتاب التكريمي باكورة لتكريم  
شاعر قلَّ أن يوجد الشعر بمثله شعراً وشخصاً .

**لجنة الندوة**





## نديم محمد الشعر والشاعرية

د. محمد رضوان الداية

كان ديوان (آلام) لـ (نديم محمد) أول ديوان أشتريه، وأُضيفه أنا إلى مكتبة الدار (الكُتبيّة كما تُسمى في الشام)، وإن لم يكن أول ديوان أقرؤه.

في العام الدراسي ١٩٥٢ - ١٩٥٣ كنتُ في سنة الشهادة المتوسطة (الإعدادية اليوم - الصف التاسع) حين نبّهني أستاذ اللغة العربية في المدرسة الأهلية التي كنت أدرس فيها إلى ديوان (آلام) وأنا - كما قال - يَحْسُن أن أنمّي الذائقة الأدبية وأطّلع على شعر هذا الشاعر المعاصر. وعهدنا بالشعراء الذين ندرسهم أنهم من رجال التاريخ البعيد أو القريب.

وهكذا فتح أستاذ اللغة العربية، غالب البرازي - وكان شاعراً أيضاً - باب هذا النمط من الشعر الحديث. وكان في أسباب انحيازي إلى الدراسة الأدبية من ذلك الوقت المبكّر.

وكنت حديث عهد بالعروض العربي، فقد عرفت شيئاً من مبادئه وقواعده في الصف السابق (الثامن). ولفت نظري، وأثر في وجداني إيقاع بحر الخفيف الذي بنى عليه نديم محمد ديوانه في قصائده جميعاً، وكان قد وُضِعَ في مقدمة تلك الطبعة من (آلام) هذا البيت:

أيها المُشْفِقون لا تلمسوا الجر..... ح بصدري فتوقظوا كبريائي  
وأسهم هذا الديوان في تعميق تأثير إيقاع هذا البحر ذي المزايا الخاصة، وقد حفظنا لأبي الطيب:

مالنا كلنا جَوِّ يا رسولُ ....

وللمعري:

غيرُ مُجْدٍ في ملّتي واعتقادي....

وسمعنا طويلاً محمد عبد الوهاب يغني من شعر شوقي:

يا شرعاً وراءَ دجلةٍ يجري بدموعي تجنّبك العوادي

وسمعنا أم كلثوم تغني من شعر حافظ إبراهيم:

وقف الخلقُ ينظرون جميعاً كيف أبني قواعدَ المجدِ وحدي

وإذا كان لكل بحر إيقاعه، وصلاحه لأغراض أكثر من أغراض أخرى فإن بحر الخفيف بمزاياه لازمني، وظلّ من أقرب إيقاعات العروض العربي إليّ، ومن آخر ما قلت على لسان اللغة العربية:

أنا كالشمس في الضياء، وكالبد رِيْجَلِي من ظلمة الأكوانِ

ليس أعمى من قال وهو حَصيفٌ عبقرِيّ الكلام طلقُ الجنانِ

«ليتي هذه عروسٌ من الزن» حِج عليها قلائد من جمانِ»

أبصرَ الكائناتِ باللغةِ الفصـحى، وأرَبى على شهودِ العيان!

وإذا كان الدكتور طه حسين<sup>(١)</sup> قد أثنى على ديوان (آلام) بعد أن أُهديَ إليه وقرأه حين كان في زيارة إلى الشام، فإن الشاعر نفسه قد نقل إلينا إحساسه المريع من ردود الفعل التي صدرت عن كثير من معاصريه على ذلك الديوان وكانت له في ذلك شكوى مُرَّة لها إشارة في سياق هذا البحث.

ولم ينس (نديم محمد) ديوان (آلام) فقال في قطعة بعنوان:

«بقايا آهات من آلام»<sup>(٢)</sup>:

عبرَ الأمسُ بالشَّهاقاتِ بالآلامِ يهوي في موكبِ الأشباحِ  
أيها الفاتحِ المرؤى من الدمِ — عِزٌّ ويزهو بقوةِ المُجتاحِ  
لك هذا الحطامِ في خربةِ الصِّدِّ رِو هذا الرِّمادِ في كلِّ ناحِ!

لا يصعبُ على الباحثِ في نديم محمد وشعره أن يستخلص عناصر تكوينه الفكري والثقافي والاجتماعي والعاطفي (النفسي) من جهتين: الأولى: ما سرده الشاعر من سيرته الذاتية في مقدمة الدواوين وفي مواضع مختلفة هنا وهناك في المقدمات، وفي الحواشي لمناسباتٍ مختلفة....

(١) في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بلودان سنة ١٩٥٦، فقد قال: «الشاعر نديم محمد» لو لم يكتب إلا ديوانه (آلام) الذي أرسله لي وقرئ على سمعي فأطربني ما سمعت... لو لم يكتب هذا الشاعر إلا هذا الديوان حريٌّ بالشعر العربي أن يضمه إلى فحول الكبار، فهو في آلامه بلغ العلوّ الشاهق، ولم ينخفض إلى السفح، وهذا يكفي الشاعر ليكون شاعراً.

(من مقدمة الجزء الثاني من الأعمال الشعرية الكاملة. ص ١٥)

(٢) المجد الثالث: ١٥٣، والقطعة غير مؤرخة.

والثانية: ما يلتقط ويستنتج، ويُفهم من خلال أشعاره مما يورده صراحةً، أو يشير إليه، أو يفصح عن شيءٍ قليل منه .

وكان الشاعر يورد بعض قضاياها وأحواله، وعلاقاته مع الناس من حوله : في قرينته، وفي مجالات الوظائف التي كان يعمل فيها (وما يلبث أن يغادرها) وحيث حلّ، ومرّ، واستقرّ.

ومن هنا فإن سيرته الذاتية موصولة بالملاحظات والحواشي والاستطرادات المبتوثة المتفرقة .

ولابدّ للدارس من أن يلاحظ في سيرته الذاتية :

(١) طول عمر الشاعر، الذي امتد ستاً وثمانين سنة، وكان عمره الفني (سنوات التتاج الشعري) لا يقل عن خمسة وسبعين عاماً، كما نفهم من تاريخ بداياته الشعرية .

(٢) تحصيله العالي في سورية، وخارجها، وتأهله (بناءً على ذلك) ليكون موظفاً ذا شأن : مادياً ومعنوياً . فإن ما حصل عليه من الشهادات كان كافياً لبلوغ ذلك .

(٣) إعراضه عن العمل الوظيفي، واشتباكه مع رؤسائه في العمل أو عدم انسجامه معهم، وقد سمى بعضهم، ونظم في ذلك شعراً، ومنه تحت عنوان « النار ولا العار»<sup>(١)</sup>:

دعوني فمالي في الوظيفة حاجةٌ  
ولا أنا من جور الليالي بخائفٍ  
فعيشي قرير العين في الكوخ آمناً  
أحبُّ وأشهى من جميع الوظائفِ

(١) المجلد الأول : ١٢١ .

فإنَّ بها قوماً وإن طار صيْتُهُم      أخطَّ نفوساً من بطونِ الزواحفِ  
فلستُ بشاتٍ ما حيثُ بقربهم      ولستُ إن عزَّ المصيفُ بصائف!

وهي قطعة مؤرّخة بسنة ١٩٤٠، وقد كان في ريعان الشباب .

(٤) أحوال أمراضه الكثيرة - كما يصف - وارتياحه بعض  
المستشفيات والمصحات، وقد توقع بعض الناس وفاته مبكراً،  
لكثرة ما انتابه من أمراض وأعراض .... وقد أشار إلى ذلك .

[وقد ظهر في شعره أثر تلك الأحوال المرضية، وتداعياتها على نفسه].

(٥) انغماسه في عالمه الخاص الذي صنعه بنفسه، وغاص فيه إلى أقصى  
درجات الغوص، وإعلانه عن مبادئ خاصة به، هي عنوان  
حياته . وهو عالم ضيق جداً، كما يراه الناس من حوله، ولكنه  
كان عنده دنياه كلّها، لا يبالي ما وراء ذلك .

(٦) رضاه عن نفسه في أنه زير نساء، وقد ذكر هذه المفردة (زير) أكثر  
من مرة إصراراً على تلك الحياة التي ارتضاها، وهذه الفقرة (٦)  
موصولة بالفقرة (٥) وفيها تفسير لبعض معالمها ونقرأ لنديم  
محمد<sup>(١)</sup> :

لا تــــأليني لي ولي      في كل أرضٍ ريحُ زيرِ  
عطشان ما همّ الحرا      م إذا شربتُ من الغديرِ

- وفي قصيدة أخرى<sup>(٢)</sup>:

---

(١) المجلد الثاني: ٣٠٩ .

(٢) المجلد الثاني: ٣٦٢ .

قالت : أتعبتُ قلتُ مَنْ      يدري فتَهَرُّني بِظَرْفِ  
وتقولُ : أُفُّ للشياطين      من الصغارِ فقلت : أُفُّ !  
وتحاجَّجت «زيرٌ صغيـ»      قلتُ تسميتي ووصفي ..!

والعرب تقول فلان «زير نساء» وهو في التعريف اللغوي المعجمي: «الذي يُكثر زيارة النساء، ويجب مجالستهن ومحادثتهن»، ودلالة الكلمة في المقياس (أو الميزان الاجتماعي) أوسع من ذلك .

(٧) انطلاق لسان الشعر في أكثر دواوين الشاعر في قضايا المرأة، لكن على وجه أعجب الشاعر وائتلف معه : ائتلاف حياة - كما قال في طول قصائده وعرضها - وائتلاف فنّ: فقد نتج عن اجتماع ائتلاف الحياة وائتلاف الفن هذه الصورة الشخصية الملوّنة، المرسومة كما أراد لها الشاعر أن تُرسم . ولولا القُدرة العظيمة التي تتمتع بها الشاعر على الأداء الفني العالي لَقبل في أشعاره النسائية إنها اعترافاتٌ يومية، جديرةٌ أن تكون مما يُدَوّن في دفتر الأحداث اليومية الاعتيادية، التي تتكرّر ولكن بنكهات مختلفة . ولنا كلام آخر على هذا الملمح في الكلام على فنيّة شعر نديم محمد .

(٨) محاولة التقاط موقف (أو هي مواقف) الشاعر من الحياة عامة ومن تطور سيرة حياته الجديدة في جَوّ القرية، وفي المدن والبلدات التي حلّ بها قليلاً أو كثيراً، وعن صورة تلك الحياة

وكيف قضاهما بين الناس من جهة، وبينه وبين نفسه من جهة أخرى .

(٩) وفهم (أو محاولة فهم) ما كان منه، وما جرى عليه حين انزعج منه - المشايخ - كما ساهم، فحاكموه ولكنه نجا ثانية كما قال من الموت . وقد أثبت هذا في حاشية قصيدة (أين الحقيقة) التي نظمها كما أرّخ بسنة ١٩٢٣ في مجلة، وقد قال<sup>(١)</sup> :

هتفَ الشعور ولم يُحاذرْ	أين الحقيقة؟ في الغنى
فِعَلِ الصغائر والكبائر	في اللهو، في اللذات، في
ءٍ وكُنْ، ولا تثريبَ كافرْ	فاقطع رجاءك بالسما
سبةً لاعِبٍ بيدِ العناصر	فالروحُ بعدَ الموتِ لُعد
ألماءُ، ولا حشرٌ وحاشرْ	لالذّةِ تَدري ولا

ولم يكن لسامعي هذا التغريد الشخصي إلا أن يسألوا أو يتساءلوا، أو يُنكروا ... وهذا ما كان كما أخبر الشاعر في حاشية القصيدة . على أن قارئ دواوين الشاعر، وقد امتد بها، وبه الزمان، نحو ثلاثة أرباع القرن، يجد مواقف أخرى مختلفة تبعاً لكل حالة وكل وقت، وكل مناسبة، وإن صدرت عن رجل واحد .

(١٠) تعدد مصادر الثقافة بين عربيّة وأجنبيّة، وقد ذكر في ترجمته الذاتية المختصرة ما يكفي للدلالة على هذا التنوع، وهو عادةً

---

(١) المجلد الأول : ٤٦ .

تنوع يُثري من جهات مختلفة. ويغلب على الشاعر ثقافته العربية،  
واتصاله بالتراث العربي نثره، وشعره.

وصف الشاعر نفسه، وعدّد من صفات شخصه، ونفسه،  
ومزاجه، وترك في ثنايا شعره: القصائد والمنظومات والمقطّعات معيناً  
غزيراً يستفيد منه الدارس في تكوين أجزاء من معالم الشخصية أو  
تلوينها، مع الحذر الدائم للفصل بين ما هو موصول بالحياة وبين ما  
هو فنّي مُخلّصُ خيوطه، ويحيّد تأثيره إلى حدّ بعيد .

والعلاقة متبادلة بين ما يحمله الدّارس من كلام الشاعر المنشور،  
وما جاءت به الأخبار عنه من جهة، وبين ما يلتقطه من نتاجه الشعري  
المفصّل المعبر .

### الشعور بالاغتراب :

وهي غربة داخلية إن صحّت العبارة، وقد صَدّر (غربة الحس)  
بهذين البيتين<sup>(١)</sup>:

أحرّقني ... طَفّاً عُمي      رري فحمةً في موقدِ  
لا الداء لا بؤسي ولـ      كـن، غُربتي في بلدي

فهذه غربته في بلده، وعندها يصبح هذا الاغتراب مسافةً نفسانيةً  
لا بُعداً مكانياً، وصدح صوته في مجال آخر، بالموضوع نفسه<sup>(٢)</sup>:  
أنا في موطني غريبٌ وفي ديدِ      نني، وفي أمتي غريبٌ غريبٌ

(١) المجلد الثالث: ٢٧١ .

(٢) المجلد الثالث: ٣٠١ .



أشهد الحق أنني مؤمنٌ القلب - ب، وفي المكرمات حُرٌّ مُجِيبٌ  
صنْتُ نفسي وصننت فكري عن الرب - ب فثوبِي عَفٌّ وفكري أديبٌ  
و مع الاغتراب، الشكوى، والإحساس بالتشرّد<sup>(١)</sup> وهو معنوي  
أولاً:

وها أنا بين قفار السنين شريداً أجرُ ذبول الشأم!  
وأذبح قلبي فيجري دمي نشيداً يغرّد فيه الألم  
و طلب الشاعر الموت<sup>(٢)</sup>:  
لا، لا! كرهتُ وجودي وأصبح الموت شغلي  
إعجاب الشاعر بنفسه وتقويمه العالي لشخصه ومواهبه (و  
نخصّ الشعر بمزية أو مزايا). وهذا ملمح لا يكاد يغيب عن أغراض  
شعره المختلفة، وقد يضع له قطعاً ماثوثة في مجلّدات مجموعاته الشعرية.  
و نقرأ في النشيد الأول من (الأم)<sup>(٣)</sup>:

أيها المشفقون لا تلمسوا الكب - رَ بنفسِي فتقصرُوا أيامي  
ليس في همّتي - وإن وهن العظ - مُ سوى البأسِ والهوى والعُرامِ  
و قال في النشيد الثاني<sup>(٤)</sup>:

أيها المشفقون لا تلمسوا الجُرّ حَ بصدري فتوقظوا كبريائي

---

(١) المجلد الأول: ٨٠.

(٢) المجلد الثاني: ٨٨.

(٣) المجلد الثاني: ٢٢.

(٤) المجلد الثاني: ٣٠.

وقال في النشيد السادس<sup>(١)</sup>:

عزّتي ما علمت، مهما طغى البؤ  
سُ، ومهما قست عليّ شجونِي  
وفي قصيدة (قناعة)<sup>(٢)</sup>:

لم يبق لي غير شعري  
وماء وجهي ... وخمري  
ثلاثة ... لا أبالي  
من بعدها أيّ خسر!

وقال في قصيدة (سمّ الكبرياء):

كنتُ عطراً في بكائي هامراً  
وجناحاً في سماء الشعراء  
وقال في قصيدة (هيهات)<sup>(٣)</sup>:

أنا من عرفتِ عشيرةً وأباً  
فإذا جهلتِ مكنتي .. فسلي !  
وفي أوائل قصيدة (شولة الكبرياء) يتحدث عن نفسه، وهي  
قصيدة وطنية<sup>(٤)</sup>:

نشوة الوحي خفقةً في ردائي  
ونشيد الخلود رجع غنائِي  
فاعصرِ التّية من كروم خيالي  
واقطف الزهو من رُبي نعمائِي  
جُزتُ للنجم كل نسرٍ وخلف  
تُ فحول النسرِ صرعى ورائِي

وانظر للمقارنة قصيدة المتنبي الدالية «لكل امرئ من دهره .....»  
تجد مقارنةً بين نديم محمد، وأبي الطيب ....

(١) المجلد الثاني: ٤٨.

(٢) المجلد الثالث: ٢٩١.

(٣) المجلد الأول: ١٩٤.

(٤) المجلد الأول: ٣٧٩.

الشعور بالإحباط: ومن عناصره توالي الأمراض عليه،  
وانتقاضها مرّة بعد مرّة، وقد ذكر ذلك في مقدمته عن ذاته، وفي  
مقدمات وتعليقات على القصائد والقطع الشعرية .

ومن ذلك الشعور بالظلم، وعدم التقدير، وقد ظهر ذلك في  
أشعاره التي نظمها في العمل (الوظيفة)، مصرّحاً أحياناً بمن أزعجه أو  
آذاه، ونقرأ مثلاً في قصيدة (شكوى)<sup>(١)</sup>:

مديري أعِرنِي السَّمعَ بعضَ هُنيهةٍ      أبثِّك ما ألقاه من ألم النقل  
عذابٌ وترويعٌ وبأسٌ وغربةٌ      وحيناً بلا مأوى وحيناً بلا أكل

ومن عناصره السأم والملل، كقوله في قصيدة (ملل)<sup>(٢)</sup> :

لا.... لا أريد بقاءً      بعد اتّضاعي وذلّي  
بلادةً: لُطفٌ رُوحِي      ساحةٌ: حُسْنُ عَقْلِي !  
هذا شعوري وهذا      حَسِّي يموتان قبلي !  
لا! لا! كرهتُ وجودي      وأصبح الموتُ شُغْلِي !  
تعبتُ يا موتُ زُرني      من جهل قومي وأهلي !

وفي قصيدة (عابدة الصنم) روى عن سّماها - لقبها - عابدة  
الصنم تلقيه بالغرّاب الباكي (قصيدة عُذْران)<sup>(٣)</sup> :

حنانك واغفري ما كان مني      وأيِّ مهذبٍ ما فيه عابٌ ؟

(١) المجلد الأول: ١٣١ .

(٢) المجلد الأول: ٨٨ .

(٣) المجلد الأول: ٢٢٣ - ٢٢٤ .

أصبح في العذابِ وفيه يُمسي ولا يشكو ولا يبكي الغرابُ !!

وأخرى ممن يُبدّلن كل ليلة<sup>(١)</sup>:

هي ليلةٌ أطعمتُها ثمَرَ الضلوعِ فلن تجوعا  
وغداً أبَدُّلْ غيرها وتبدّلين غداً ضجيعاً !!

الحيرة، ويصح أن يكون لهذا الملمح كلمة أخرى قريبة منها، وهي حيرة الفكر والموقف والرؤية من قضايا الإنسان في الحياة، وخصوصاً في ما يخص حقيقة الكون ومصير الإنسان.... فعلى حين تلقى في الشعر تجديفاً يتحفّز له المشايخ كما سَمَّاهم، ينطلق القلم من يده بعبارات متزنة متأنية . ويبدو لقارئ شعره أن هذه الحيرة وذلك القلق لم يغب عن ذلك الشعر طوال حياة الشاعر .

- ومن عناصره، التشاؤم<sup>(٢)</sup> :

بين جُدراننا ثعالبٍ مكرٍ فاحذروها ثعالباً لا تُجارى  
تحت أثوابنا ذئابٌ ضوارٍ فاتقوها ضوارياً أن تُثارا  
والتشاؤم هنا يشرب من التعميم .

- اختصار معظم ما في الدنيا بمطالب الجسد:

أرى نعيمَ العيش أن أشرباً وأن ترُدَّ الخمرُ عهد الصِّبا<sup>(٣)</sup>

---

(١) المجلد الثاني : ٣٠٠ .

(٢) المجلد الأول : ٤٢ .

(٣) المجلد الأول : ٢١٤ .

- وفي قصيدة مؤرخة بسنة ١٩٨٠ عنوانها (برد النحور، دفاء المشيب)<sup>(١)</sup>:

للنسر بعد الكبر في ذل السفوح تشامخ النسر الكبير  
أجميلتي حب المشيب يد الشباب نفت أطياب السرور

- وفي أخرى مؤرخة في سنة ١٩٨٨ بعنوان (زاد الشيب)<sup>(٢)</sup>:

فمشيب رأسي حين أعشق من صبا قلبي ولبي  
وغناء لون أبيض يحدو به شعر المحب

فالشيب لا يمحو شباب الروح من صبوة صب!

فهذا شعره في هذا الجانب في أواخر العمر، أما الفتوة والشباب والكهولة فلها الأقوال الملتهبة والعبارات الجريئة! ...

- وقال في (النور العابس) «بلا تاريخ»<sup>(٣)</sup>:

حسناً جئتك الغنى      والحب والوجه النضير  
وأنا أدور على الشفا      والغاليات أنا الفقير  
جسدي جحيم العمر يا      خذه ويرجعه الفجور

- ويعترض (عابرة سبيل) في قصيدة بهذا العنوان:

من أنت يا أروى من الـ      هاء الفرات السلسيل؟

---

(١) بنى الشاعر المنظومة على خمس تفعيلات من مجزوء الكامل المرفد. وقد أشرت إلى

مثل هذا في شعره في فقرة عن الأوزان والموسيقا وهي في المجلد الأول: ٢٤٢.

(٢) المجلد الأول: ٢٤٩.

(٣) المجلد الثاني: ٢٩٤.

من أنتِ يا حُوريتي مَنْ أنتِ عابرة السبيل؟!

ولا يحجز حاجزُ شيطان شعر نديم محمد عن الإيغال في تلمّس تماثيل الجمال : مصوراً، ومُتَشَهِّياً، وعارضاً ما صوّر وتشهّى في أوصافٍ مكشوفة كأنها لوحات نسائية من عمل رسّام يرسم المثال الواقف أمامه بالتفصيل والتحديد والتجريد ...

و اقرأ قصيدته (مريان) المؤرخة في سنة ١٩٧٣، واجعلها مثلاً أو نموذجاً لما أحدثك عنه، فقد قال في أولها<sup>(١)</sup> :

هما عيناكِ عُصفورا      نِ يَغْتَسِلانِ في خَمْرِ  
هما خدّكِ من شفقٍ      على غيمٍ ومن زَهْرٍ  
وشعركِ جمرتا كَرَزٍ      على عِقْدٍ من الدُّرِّ

.... و استرسل في الوصف الماديّ: «هما زندانك ... هما نهداك ...  
هما ساقاك ...» وغير ذلك مما نتوقّف عنده ... و جعل الشاعر القصيدة سلوى له تحت ظل (الشَّيب) كما قال :

ولولا كبوةُ الفارِ      سِ في مِيدانِهِ الوَعْرِ  
لكنّتِ اليومَ، هذا اليو      مَ صَيْدَ الشَّيبِ، من يدري؟!

مرّت الإشارة إلى تمكّن الشاعر من اللغة العربية .

وأقول : إنه استفاد من تلك الطاقة اللغوية والذخيرة الوفيرة من المعجم الشعري فوظّف ذلك في قصائده ومقطّعاته .

---

(١) المجلد الأول : ٢٧٦ .

وأسلوب نديم محمد في شعره يميل إلى الجزالة والفخامة، وهو يقصد إلى ذلك قصداً أيضاً. ويطوّع الغريب من اللفظ - وما هو قريبٌ من الغريب - ليكون في نسيج شعره، مستفيداً من إصابة المعنى المطلوب مع فخامة التعبير ومتانة الأسلوب .

ولقد كانت هذه الفخامة والجزالة ملحوظة في شعره «النسوي» الذي لا يحتمل عادةً تلك الخصائص... إلا إذا كانت على يد فنان متمكن .

و نقرأ - مثلاً - من قصيدة (صحوة الجُمُر) (١) :

سَكِرَ الزَّهْوُ فِي خَيَالِي فَلَوَّ	حُتُّ إِلَى النِّجْمِ طَائِراً بِجَنَاحِ
وَحَسِبْتَ الهَوَى رُعَافَةَ خَمِرٍ	مَسَحْتَهَا أَنَامِلِي عَن وَشَاحِي
سَكْرَةَ الوَهْمِ، كَمِ أَرَقَّتْ عَلَى سَف	حِي وَأَزْهَتْ خَدُودَهُ بِالْأَقَاحِي
كَمِ أَلَانَتْ أَظْفَارِ شُوكِي، فَلَا	وَعْيُونَ الوَرْدِ مَا ذَكَرْتُ جِرَاحِي
لَيْتَهَا سَمَّرَتْ عَلَى اللَّيْلِ أَجْفَا	نِي وَذَابَتْ غَفْوَاً بِنُورِ الصَّبَاحِ
هَذِهِ الرَّعْشَةُ الْمَسْقَاةُ بِالْأَهَا	تِ مِنْ رَشَّهَا دَمَاءً فِي صُدَاحِي ؟
وَبَقَايَا الدَّمُوعِ، أَيِّ إِلَهٍ	سَكَبْتَهَا يَدَاهُ فِي أَقْدَاحِي ؟
يَنْعَسُ الْجُمُرُ فِي ظِلَالِ الرِّيَاحِينِ	وَيَصْحُو عَلَى شَهيقِ الرِّيَاحِ

و قد استفاد من مخزونه ومحفوظه من التراث العربي شعره ونثره، وفي شعره رسيسٌ يصل إليه من الآيات والأحاديث أحياناً في بناء عباراته، وسرد مُرادَه .

---

(١) المجلد الثالث : ١٥٦ .

وأضربُ أمثلةً عارضةً فإن هذا كثيرٌ في شعره وشعر أمثاله أيضاً؛  
وإنما أذكرها تقريباً للقارئ وإمتاعاً أيضاً .

- قال في قصيدة (الوظيفة) <sup>(١)</sup> :

مُحَلٌّ فِي وَجْدَانِهِ مَا شَكَّتْ      مِنْ حَمَلِهِ الْأَرْضُ وَلَمْ يَشْعُرِ  
دَمْعُ يَتِيمٍ حَزَزَتْ قَدْرَهُ      وَأَيْنَ بِالْفَلَسِينِ مَنْ يَشْتَرِي؟

وهذا من قول المتنبي في كافور <sup>(٢)</sup> :

أَمْ أذْنُهُ فِي دَمِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً      أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَسِينِ مَرْدُودٌ؟

- وقال في قصيدة (تبه) <sup>(٣)</sup> :

جَارٌّ مِنَ الْوَحْشِ أَوْ طَيْرٌ أَعْلَمَهَا      أَوْ فِي وَأَخْلَصُ مِنْ جَارِي وَأَتْرَابِي  
حَوْلِي مِنَ الذَّنْبِ وَالْعَقْبَانِ طَائِفَةٌ      هُمْ كُلُّ صَحْبِي، وَسَمَّارِي وَأَحْبَابِي

وهذا من قول أحد الصعاليك:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطيئ

- وقال في قصيدة (أقحوان) <sup>(٤)</sup> :

أَمِنْ مَاءِ الْغَمَامِ نَشَأَتْ بَدْعَاءُ      وَخَلَقِي كَانَ مِنْ مَاءٍ مَهِينِ

---

(١) المجلد الأول : ٥٤ .

(٢) ديوان أبو الطيب (التبيان) ٢ : ٤٧ .

(٣) المجلد الأول : ٥٧ .

(٤) المجلد الأول : ٦٠ .



وهذا من الآية الكريمة : ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين، فجعلناه في قرارٍ مكين، إلى قدرٍ معلوم﴾ (المرسلات : ٢٠ - ٢٢)

- وقال في قصيدة (في الميزان) <sup>(١)</sup> :

فإذا ما أقمتَ في القصر فاذاكر  
وإذا ما لبست ثوبَ حريرٍ  
- وهذا من قطعة، فيها :

نعمة الكوخ في غضون الشقاء  
فتذكّر بالله صوف العباءِ  
أتذكّر إذ لباسك جلدُ شاةٍ  
فسبحانك الذي أعطاك ملكاً  
وإذ نعلاك من جلد الحميرِ  
وعلمك القعودَ على السريرِ

- وقال في قصيدة (مغرو) <sup>(٢)</sup> :

وتدعو كالرّجال إلى قتالٍ  
وتتبع جازعاً مثل النساءِ ؟  
وهذا من عبارة مشهورة لأم (أبي عبد الله الصغير) بعد سقوط  
غرناطة :

ابكِ مثل النساءِ .....

وقال في قصيدة (حاكم) <sup>(٣)</sup> :

علامةُ المسلم ألا ترى  
إلا الرضى من يدهِ والفمِ  
وهذا من الحديث المشهور «المسلم من سلم الناس من يده  
ولسانه» .

---

(١) المجلد الأول : ٦١ .

(١) المجلد الأول : ٦٢ .

(١) المجلد الأول : ١٢٧ .

و أكتفي بهذا القدر المستخرج من صفحات يسيرة من الجزء الأول من الأعمال الشعرية الكاملة .

ولنديم محمد اعتماداً على محفوظه من التراث الشعبي، من الأمثال والأقوال والأغاني الشائعة (بالدرجة) ...

- ومن ذلك قوله من قصيدة (الوتر الظامئ) <sup>(١)</sup> :

ونَهْزُ كُلِّ وشَايَةٍ      خلف الستور، وكلَّ ظنِّ

للبحر يشرب ماءهُ الـ      حسَّادُ من إنسٍ وجنِّ

حسناً صُبي الخمر واسـ      بقي واشربي نخبي وغني

وهذا من قول الناس في المغيظ «لا يرون لغيظه وجهاً أو قبولاً».. «يشرب من البحر» .

ومثله قوله في قصيدة (جرح الكبرياء) <sup>(٢)</sup> :

كُرْمَانِ عَيْنِكَ أبعثُ الجرحَ      المكفَّن ... في لساني

كُرْمَالِكَ ... أهديك      للسرِّ المخبي من زمان

كذا وَرَدَ البيتان، وصواب النص - في تقديري على الظن الراجح - «كُرْمَالِ عَيْنِكَ» في البيت الأول و«كُرْمَى لِكَ» .

أي : إكراماً لها، ومن أجلها ..

وهذا من قولهم : أفعل هذا «كُرْمَى لِكَ» .

وفي أمثالهم : كُرْمَى لـ (عين) تكرم مرج عيون (مرجعون) .

---

(١) المجلد الثاني : ٣١٨ .

(٢) المجلد الثاني : ٣٦٤ .

ومنه قوله في قطعة بعنوان ( الهدية لا تُرد )<sup>(١)</sup> :

قال النبيّ محمّدٌ      إنّ الهدية لا تُردُّ  
لكن بشرطٍ واحدٍ      ألا يُمنَّ بها أحد!

ومنه قوله في قصيدة (أنا وهي)<sup>(٢)</sup> :

أرّخِ يا ليلُ علّينا      من حواشيك ستارا  
حيّنا أعينُ حسّاً      دِ، وجاراتُ غيارى

وهذا - وإن كان من ملامح الشعر التقليديّة - مأخوذاً من أغنية كانت شائعة في أوائل القرن الماضي (من الدارجة المصرية) :

«ارخِ الستار اللي فريحنا  
لحسّن عينيهم تجرحنا ! ..»

والتراث الفصيح والشعبي معين لا ينضب، يردّه الشعراء والكتّاب، وسائر أهل الأدب .

اتسعت دواوين (نديم محمد) أو مجموعاته الشعرية التي اختار لكل منها اسماً، لموضوعات كثيرة، وأتاحت مدة نظم الشعر في حياته الطويلة الخوض في قضايا متعددة، وطنية، وقومية، وحياتيّة، إلى جانب العنصر الأكثر وجوداً وسيطرةً على العمل الشعري، وهو المتعلق بالشاعر نفسه: أحواله، وظروفه، ورؤاه، وممارساته الحياتية، وما طرأ عليه من صحة ومرض، وإقامة وسفر، وتنقل في البلدان، وإخلاق إلى النفس، وحوارٍ يجري، ومراجعةٍ تتم، وذكريات تعبر،

(١) المجلد الخامس : ٣٦٣ .

(٢) المجلد الأول : ٢٥٢ .

وأوهام تطغى ، وهو اجس تظهر ، وكوامن تتنفس ، وخواطر تطيف  
بالقلب ، ورؤى تتخايل ، وإشراقات تلمع....

إن قارئ شعر (نديم محمد) يلمح من هذا الكثير: إنه يحس بأن  
الكلام الذي في الصفحات يتحرك ، ويشغب ، وأن رؤى الشاعر  
وهو اجسه وأحلامه وأوهامه تتراقص ، وتبرز ظاهرة عارية.

\* \* \*

وصف الشاعر لنا نفسه في ترجمة ذاتية قصيرة تنبئ عن أمور  
وتتجاني عن أمور. وهذا الذي نسميه ترجمة ذاتية جاء مفروقاً في  
صفحات من (الأعمال الشعرية الكاملة) مقسمة على مواضع متعددة.  
ويضيف إلى ما صرَّح به الشاعر من أحواله ما يستطيع القارئ أن  
يستفيده من قصائده ومقطعاته في مجموعاته أو دواوينه وعلى القارئ  
والدَّارس أن يمرر هذا الذي يطالعه في الديوان مما يخص حياة الشاعر  
وأحواله على مُظهِرٍ أو مبيِّن ، أو مفسِّر ليكون ما يتلقاه من الشعر ، أو  
يستنتجه قابلاً حقاً ليكون إضافة صحيحة مفيدة أو ما يقرب من ذلك.  
وقد عرف والد الشاعر من سنٍّ مُبَكِّرة من عمر الفتى أن ابنه  
مختلف عن إخوته ، وعمَّن حوله ، فتعاطف معه ، وحماه ، ورعاه ، وعرف  
هو من نفسه هذا التميز في النظم ، والبراعة في الشعر ، وأطاع أهواءها منذ  
الصغر حتى تشكَّلت له شخصية خاصة عُرفَ بها واستمر عليها.

وهكذا صار شعر (نديم محمد) من المرثي التي تتجلى فيها  
حقيقته ، و صار شعره أيضاً من الدلائل الدالة عليه في أحواله ،  
وطباعه ، وآرائه ، و صار مستودعاً لنزعات نفسه ، ومستقراً لتهويماته ،  
ومفتاحاً رئيساً من مفاتيح شخصيته.

ويستطيع الدارس - لو تفرَّغ لذلك - أن يرصد شعر (نديم محمد) ويرتبه على تسلسل الأزمنة المتوالية.

وفي شعر نديم محمد مساحة لقضايا الأمة الكبرى في أحوالها المختلفة:

- هذا الكابوس الجاثم على أرض فلسطين ، الذي يتشيطان ويتغول ،  
ويزداد إيغالاً في مقاصد الاحتلال وكل ما يتبعه ، على حين تتقلب  
الأمة وهي دولٌ متعددة في همومها.

- وهذا «الاستعمار» الذي فرض نفسه على أراضٍ عربية واسعة غرباً  
وشرقاً: فجزاً وقسم ، وحرّض وحرّش.

- وتلك الظروف الاجتماعية الداخلية المتشعبة الأحوال المتعددة  
الجوانب: بعضها يشمل البلاد والعباد ، وبعضها مخصوص بقطر  
دون قطر.... ولكنها ظروف وهموم.

- والأحداث الكثيرة التي عاصرها الشاعر، ووجدت في نفسه وقلمه  
صدىً وأثراً.... فظهرت في منظومه، وشغلت من فكره وقلبه .

ووجد «المعذبون في الأرض» كما سمّاهم طه حسين ناصرًا لهم في  
نتاج نديم محمد، ونقرأ في قصيدة (اللهب الرحيم)<sup>(١)</sup> :

أيهون في وطن العرو	بة والحمية وجه حُرِّ؟
أتجوع أفواهٍ وتعـ	رى أذرع من كل ستر؟
أنذيقها الماء ونكـ	سوها بإيذاءٍ وشرِّ؟

(١) المجلد الأول: ٤٠٢.

والقصيدة صوتٌ صدَّاحٌ عالي النَّبرة مشبَّوبٌ الحماسة في هذه المدَّة المتطاولة التي كان نديم محمد يشدو فيها بشعره: ينشده أو ينشره ، أو يُطلع عليه مَنْ حوله ، كان في القطر السوري حركة شعرية تدل حقيقةً على أن هذا القطر الشامي يسهم في حركة نهضة الأدب عامة، ونهضة الشعر العربي خاصة.

ونظرة إلى الشعراء الذين خَلَّفوا دواوين شعرية تُري كثرة هؤلاء الشعراء مبثوثين في سورية في المدن والقرى والبوادي أيضاً. ولنذكر على سبيل التَّذكُّر لا الحَضْر: محمد الفراتي ، وبدر الدين الحامد، وعمر أبو ريشة، وشفيق جبري، وخير الدين الزركلي، ومحمد البزم، وبدوي الجبل، وأنور العطار، ونزار قباني، وخليل مردم. وإذا فتحنا باب شعراء المهاجر من السوريين، ازداد العدد واتسعت الصورة.

وتضاف إلى هؤلاء كوكبةٌ عظيمة من الشعراء قلَّ نصيبهم من الشهرة أو تأخر طبع أشعارهم في دواوين ذائعة. وكنت قد كُلفت بكتاب يضم شعراء سورية المعروفين في القرن الماضي. وقد اجتمع لي من ذلك عدد كبير جداً، لقد كان القطر منجماً حقاً، وكان الشعراء مبدعين، ينافسون شعراء العرب في الأقطار المختلفة

\* \* \*

وكان نديم محمد بأشعاره ، وهي كثيرة، متقنة، صادرة عن شاعر متمكن، لافته، عالية الرصيد الشعري (إذا احتكنا إلى معايير النقد الأدبي لذلك)....

ويُردُّ على الباحث، وعلى قارئ شعر نديم محمد أكثر من سؤال، وهو أمام «لائحة» أسماء شعراء سورية المشهورين، أصحاب الدواوين الظاهرين على ساحة الأدب والفكر والفن:

- لم يتم طبع أشعار نديم محمد كاملة في حياته وكان يأمل أن يرى تراثه الشعري مطبوعاً، مجموعاً. ونقرأ في كلمة «أسرة الشاعر» في صدر المجلد الثاني من الأعمال الشعرية الكاملة، «كانت أغلى أمنيات الشاعر في سنواته الأخيرة أن يرى نتاجه الأدبي والشعري مطبوعاً يأخذ طريقه إلى أيدي القراء في وطنه العربي..... إلخ». وكان عدد من الشعراء الذين سردنا أسماءهم قد طبعت دواوينهم أكثر من مرة في أثناء حياتهم.

- لم يكن انتشار دواوين الشاعر وأشعاره على الوجه المتوقع لشاعر، على هذه الدرجة من التمكّن والشاعريّة. وإذا قارنا انتشار دواوين نزار قباني - مثلاً - وكلاهما شاعر استغرق في الكلام عن المرأة وكل واحد على منهجه، وجدنا التفات الناس إلى شعر نزار التفاتاً كبيراً، فقد ألفوا ما صنعه بعد مدة غير بعيدة على رغم اصطدامه ببعض المعارضين لأسباب اجتماعية... فما القضية إذن؟ يبدو - والظواهر تؤدّي إلى ذلك - أن للناس في هذه الموضوعات مزاجاً، وأن هذا المزاج لا يحبون تجاوزه. وشعر نديم محمد في المرأة وأحوالها وعلاقتها بها:

١ - صريحة، شديدة الصراحة.

٢ - وفيها خصوصيات المتكلم بلسان الشعر وبعض هذه الخصوصيات يتجاوز المزاج العام.

٣- إضافةً إلى أحوال وأوضاع وصفات تتكرر وإن اختلف الأسلوب والصياغة والمدخل إلى تلك المقاصد.

٤- ويدخل عنصر الجزالة في الأسلوب والغرابة أو الإغراب أحياناً، وإيراد مفردات تعلق على ثقافة القارئ العادي أو المتوسط، وإن كانت من جهة الأداء والفن وإصابة الغرض صحيحة، عالية أيضاً.

ويصح هنا أن أورد خاطراً فيه شيء من الاستفادة من تاريخ الأدب؛ فقد ظهر في الشعر العربي في العصر الأموي ثلاثة اتجاهات في الشعر الذي يتحدث عن المرأة أو يخاطبها أو يجول في ساحتها. فتيار شعراء الغزل العذري الذي يمثله جميل بن معمر وكثير عزة ومجنون ليلى وقيس بن ذريح وغيرهم، وتيار المجون الذي يمثله الأحوص ومن جراه وهو أقرب إلى ما يسمى (الأدب المكشوف)، وتيار ثالث يمثله عمر بن أبي ربيعة.

وقد شاعت أشعار العذريين وأشعار عمر ولم يحظ أمثال الأحوص بتلك الاستجابة من السامعين والقراء، ولم يكن لهم الحضور الأدبي والاجتماعي الذي عرفه التياران الآخريان، ولم يحفل التاريخ الأدبي بعد ذلك بأولئك «المسرفين».

أحياناً يكون استغراق الشاعر في موضوع من الموضوعات أو فكرة معينة أو ظاهرة بلاغية، وما شابه، عبثاً على الشاعر نفسه، ومؤثراً سلبياً على ذبوع شعره وانتشاره بين الناس.

نقرأ مثلاً في ترجمة صالح بن عبد القدوس (توفي سنة ١٦٧هـ) في صدر الدولة العباسية قول ابن المعتز فيه في طبقاته<sup>(١)</sup>:

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٩٠



«وله في الزهد في الدنيا والترغيب في الجنة والحث على طاعة الله والأمر بمحاسن الأخلاق وتذكّر الموت والقبر ما ليس لأحد. وكان شعره كله أمثالاً وحكماً».

وأثنى الجاحظ على شعر صالح بن عبد القدوس ثم قال<sup>(١)</sup> :

«لو أن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري<sup>(٢)</sup> كان مُفَرَّقاً في أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي بطبقات (أي بدرجات) ولصار شعرهما نواذر سائرة في الآفاق. ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالاً لم تسر» أي لم يكن لها ذبوع وانتشار».

ولشاعرية الشاعر أعمدة تنهض بها، وتقوم عليها، وتستمر بحيويتها، واتصالها:

١ - الموهبة، وهي ميلٌ فطريٌّ، أو هو كالفطري إلى هذا النوع الفنون. فإن هناك عوامل كثيرة تؤثر في تولد هذه النزعة في الشاعر: نفسه وعقله ووجدانه، وإطراد العوامل المؤدية إلى ترسيخ تلك النزعة التي تنتهي إلى ما يسمى بالموهبة ثم تصل إلى «الملكة» هنا يكتمل اتجاه (الشاعر الواعد) ويتوجه بالقدرات المختلفة، الظاهرة والخفية فيه ليكون مبدعاً، وليكون له حضورٌ، وتكون له «بصمة» كما يقال في التعبيرات المعاصرة.

٢ - ولا بد لذي الموهبة من معرفةٍ بالعربية تصل إلى الإتقان في معرفة أصولها، وخصائصها، وقواعدها، والتمرس بأساليبها، وتشقيق وجوه الكلام فيها. ولا يكون هذا إلا بالتعلم والممارسة والمتابعة

---

(١) البيان والتبيين ١ (٢٠٦).

(٢) من شعراء العصر الأموي .

الطويلة - المديدة، فإن التراث الأدبي العربي شعره ونثره قديم، واسع، متعدد الجوانب ولا توجد أمة في ما أعرف، تقرأ وتحفظ وتفهم وتستوعب وتتذوق من تراثها ما عمره ألف وسبع سنة مثل أمتنا.... وهذا مزية واضحة، ولكنه تكليف على المبدع الواعد ليكون في «جو» الثقافة والتراث من جهة، وليحلق هو بما يضيفه ويخترعه ويبتدعه.

٣- ويتبع ذلك، ويتداخل معه، قراءة المتخير من التراث الأدبي، ومدارسه والحفظ الكافي منه، ومتابعة ذلك، فإن الجيد من التراث العربي، والرائع منه أيضاً كثير.

ومشهورٌ خبر الشاعر الأموي: الفرزدق، فإن أباه غالباً لما رأى ابنه ينظم الشعر (أو يبدأ ذلك) أخذه إلى عليّ رضي الله عنه وسأله المشورة فقال له: حفظه القرآن الكريم. وكان ذلك. وقد قيل في شعر الفرزدق بعد هذا إن فيه ثلث كلام العرب أو حفظ ثلث اللغة!

٤- فإذا تهيأ ذلك من موهبة، وقراءة وحفظ واستيعاب وتمرس، ومعرفة بأساليب العرب، وإطلاع على تجارب الشعراء الكبار في موضوعاتهم المختلفة، ومرن الشاعر الواعد نفسه على استيحاء المعاني، والتقاط الفكر، واستحضار الصور، واختيار الموسيقى، وسائر ما يتعلق بالأدوات الفنية الأخرى: ساغ له أن يبدأ خطواته وهي غالباً تكون تلقائية، ثم تنمو وتكبر، وتتحدد هوية صاحبها شيئاً فشيئاً، وقد قيل في عمر بن أبي ربيعة بعد قصيدته (أمن آلٍ نعم...): مازال هذا الفتى يُقرّزُ حتى قال الشعر!!

٥ - والشعر فن راقٍ. وهو يحتاج إلى فكر ثاقب، ولمح سريع، وقدرة على الالتقاط، وحادسٍ حاضر، وحواس متحفزة، ونفس وثابة...

وهو يحتاج إلى حسّ نقديّ عالٍ: فَيُثَبِّتُ ما يجده حسناً من القول، ويعيد النظر فيه، ويهمل ما يستطيع أن يقول خيراً منه.

٦ - ثم يختلف كل شاعر - وإن اتفقت هذه القواعد العامة عند الشعراء - ويجد لنفسه اتجاهًا وأسلوباً ووجوه اهتمام، وطرائق في التعبير والتصوير.... كأنهم الشجر المتنوع: الأرض واحدة والماء واحد، والثمار مختلفة، وإن كان لكل شجرة مزاياها وخصائصها وملامح طبيعتها وجمالها....

واسمَع واستمتع بما قاله نديم محمد في قصيدته (زورق) في المجلد الثاني من المجموعة، وهي - على قصرها - تصلح أن تكون عنواناً للألق الشعري الذي يتمتع به نتاج الشاعر، وتضافر عناصر الأدب فيها، وإشراف الشاعر على الفن الشعري من جهاته المختلفة: تروحك العبارة والصورة واللمحة الذكية، والإيقاع المتهادي..

أَحْمَامِي الْبِيضَاءُ زَوْ	رَقْنَا الْمُدَلَّلَ جُنَّ زَهْوَا
رَشُّوهُ أَعْلَاماً وَأَلْ	وَانَاً، وَأَشْعَاراً وَلَهْوَا
فَرَشُّوْا أَرِيكَتَهُ الصَّغِي	رَةَ مَنْظِراً وَهَوَاكِ حُلُوَا
وَشَرَاعَهُ وَالصَّحْوَلُو	تَدْرِيْنَ مَن سَمَّوْهُ صَحْوَا
وَالْأَفْقَ هِدَاةً سَجْدَةً	بِيضَاءَ فِي دَعَاةٍ وَسَلْوِي
عَصْرُوا مِنْ الْأَمْوَاجِ خُض	رَةَ جَفْنَهَا وَسُقُوهُ غَفْوَا

يا حُسنَ زورقنا وسحر  
من أبدعت يَدُهُ وصَوَّ  
رُكِ أنت ما أغرى وأغوى!  
رَفْتِنَةَ الدُّنْيَا وَسَوَّى  
رَقْنَا وَتَهْنَا فِيهِ نَجْوَى  
رَ ، وَرَفَّ ، رَفَّ الغَيْمُ رَهَوَا  
هَفَّ الشَّرَاعُ وَطَارَ ، طَا

ولنلمح إيقاع البحر الذي استخدمه مجزوء الكامل المرقل (حيث يطول الشطر الثاني) ثم لنتنبه إلى رويّ الواو وإطلاقه، فإن في هذا بعض شاعرية الشاعر وحُسن انتقائه عناصر قصيدته جميعاً على هذا النحو المعجب....

في أواخر المجلد الثالث من الأعمال الشعرية الكاملة في الصفحات المحصورة بين ٣٩٥-٤٦٠ كلام منشور ومنظم تحت عنوان (حول الشعر الجديد قال وقلت)، بدأه بقوله: «قال: ما رأيك في الشعر الحديث» ولم يُسمِّ محاوره فالمهم هو القضية المطروحة. ولم يطل نديم محمد الكلام واختصره في محاور سريعة:

- ١- «الشعر الحديث عقد جديد من عقود السن من عمر الشعر القديم وكلمة شعر تحدد في ذاتها المعنى المقصود منها. أما صفة قديم أو حديث فتعريف زمني لا أكثر» قال والكلام له «هذا ما أراه من الوجه الأدبي ومن الوجه السياسي فالشعر - إياه - بملاحه وأشكاله الحاضرة، أهية زمنية تلقي بها السلطات العالمية بين أيدي شبابنا لتوقف إدراكهم وتسمر وعيهم فلا تكبر ثقافتهم فتأمن بذلك أكبر خطر يهدد نفوذها السياسي والمادي .
- ٢- الشعر عند نديم محمد والكلام له في سياق حوار مع ذلك السائل: «موهبة، فشعور، فتعبير عن الشعور، فوزن وقافية،

وأسلوب وموسيقا، وروح وعمق، ثم فن، وشيء لا أعرف ما هو إذا لم يكن فكل ما قلته لا يستقيم شعراً» .

٣- والشعر الجديد - وهذه عبارته - في دربه إلى المستقبل كلمةً وصورةً ومعنىً، تطور فكري نام، وعملٌ ثقافي جاهد، لتخطي مرحلة زمنية وتجاوزها لغةً وموضوعاً إلى أفق أبعد، ومستوى أعلى من الغنى الأدبي، والترف الجمالي، على أن يشق الدرب إلى هذه الغايات بعض الكبار من الشعراء المبدعين، وهم في تحديد القول: أولئك الذين أتموا ريادهم في معالم الشعر القديم، وأحرزوا في مجال المعرفة والإحاطة بقضاياه الكثيرة في مختلف جوانبها حقيقة النضج وسعة الخبرة، وصواب الدقة والحكم في تقدير سماته الأصلية ومميزاته العريقة وتقاليده (الكلاسيكية) بعد وفرة معاناة شاقة واستمرار متعاضم جهيد في بناء صروحه وتخيّر فوائده وطرائقه وإتقان صوغها وتبريجهما، ثم يلحق بهم من يلحق وليبلغ في إثرهم من يبلغ.

وهذا موقف واضح - شديد الواقعية - من الذي سمي شعراً حديثاً (قبل دُرْجَةِ ما سمي قصيدة النثر: فإن أولئك الأفراد الذين لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد أو اليدين دخلوا في التجربة وقدموا شيئاً وفق تلك الشروط الكثيرة التي أوردتها الشاعر . ومعنى هذا أن الناظم والمنظوم إذا لم يكن على تلك الصفات والمزايا لم يستطع التابع أن يلحق السابق ... وكيف وهو ضعيف الأدوات قاصر القدرة فقير العناصر الكثيرة المؤدية إلى حقيقة الشعر. ورحم الله أبا الطيب وهو يذكر أولئك المحاولين مُساواته أو مُسامقته :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقٍ أراه غباري ثم قال له : الحق

وقدم نديم محمد في تلك الصفحات القليلة مشاركةً محدودةً سريعةً لتكون كتحلّة اليمين، وكالمشاركة (الوجدانية) وتمكن الشاعر موهبةً، ولغةً، ومحفوظاً، ومعرفةً بأوزان الشعر، وإيقاعات سائر المنظوم أتاح له أن يكون مشرفاً إشرافاً تاماً على صفة الشعر عامةً وعلى معرفة الأوزان والبحور والتعمق في أسرارها وقدراتها والصلة بين البحور والموضوعات والمعاني والعلاقة بين الأوزان والقوافي إلى غير ذلك مما هو داخل في شاعرية نديم محمد وتلقائيته في نظم الشعر وإتقانه . وتستهوِي الشاعر بحور بإيقاعاتها (على وفق ماسبق قوله) كاختياره بحر الخفيف لديوان (آلام)، والخفيف يصلح لمقاصد ذلك الديوان وقد كان في أسباب ظهور خصوصية قصائد، ثمة... ومن ذلك اختياره مجزوء الكامل المرفل في (فراشات وعناكب) وهو بحر ذو إيقاع خاص يزيد فيه الشطر الثاني على الشطر الأول (سبب خفيف / حركة فسكون) ووزنه :

#### متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلاتن

وكانت طلاقة الشاعر وقدراته الشعرية حامياً له من الوقوع في الرتابة، فإن عناصر الشعر لا تقف عند الوزن وحده كما أن الوزن نفسه (للبحر نفسه) يتمتع بإيقاعات متنوعة تختلف أيضاً بحسب الأعراب والأضرب واختيار القافية.... الخ

وقد ساق د. عبد الله الطيب في المرشد كلاماً مطولاً على بحر الكامل مجزوءاً ومؤيلاً (بزياده سكون على الضرب) والمرفل (بزياد حركة وسكون على الضرب) . والمؤيل والمرفل منه يزيدان على الكامل

التام (٣ تفعيلات) بشيء من أناة مع ما يشبهانه فيه من روح الترتم والنشيد ويصلحان لأن تحيء فيهما القصائد الطويلة الرقيقة التي تذهب مذهباً بين الخطابة والترتم وضرب أمثلة من الجاهليين والإسلاميين... ثم قال: وهذا الوزن كثيران في الشعر المعاصر جداً.

أما الخفيف فإنه يجنح نحو الفخامة وقد كسر النظم على الخفيف في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام والعصر الأموي وصار من البحور المقدمات عند إسلامي الحجاز بل صار البحر الأول... قال (ثم جاء ابن أبي ربيعة وأضرابه فأكثرُوا من هذا البحر، وأخذوا من وزنه الرصين القوي ذي الرنة الملتحولية مركباً لكلامهم الناعم المرقق أكسبه موسيقا حية تصبغ غزل الرجال في النساء بما هو حقه من فحولة في تأنٍ وتلطف....) وقد اختلفت أغراض هذا البحر بين الغزل والمديح والحماسة والهجاء والرثاء والفخر، وعقب بعد كلام طويل: إن الرنة والجلجلة لا بد منها في بحر الخفيف ليصل إلى القلوب. فمن خفيفيات (آلام) من النشيد الثاني:

صور الكون من خيالك أشكا	لأتوالى مع الضحى والمساء
أنتِ في الشرق حين أنظرُ والغر	ب وفي الماء والثرى والسما
أنتِ في خطره على الرو	ض وفي العطر والندى والضيء
أنتِ خمري إذا شربتُ وشكوي	حين أشكو ولوعتي وبكائي
أنتِ صمتي وأنتِ نطقي وشهقي	واضطرابي وخشيتي وحيائي
أنتِ لحنِي لو كنتُ أعقلُ لحناً	ورجائي لو كان لي من رجاء!

ومن كاملياته من قصيدة الثمار وبالثمار:

قمرٌ صغيرٌ طالعٌ      من بين غياتِ جدارِ  
من مَشْرِقِ غافٍ على      صدر القرنفل والبهارِ  
دارتُ به شفتاي، مَنْ      ضمَّ السوارَ على السوارِ؟  
قُبْلُ مرفرفة صغا      رُ كالأغاريد الصغارِ  
نعطي ونسخو بالعطا      ء من الثمار وبالثمارِ

وتصرّف في بعض قصائده فأنشد على الرجز من خمس تفعيلات  
(في الشطرين) مقياسه ثلاث تفعيلات في التام، واثنان في الرجز  
المجزوء في كل شطر. فجاء بوزن من الرجز لا هو بالمجزوء، ولا هو  
بالتام، فقال مثلاً:

قلبي من الحزن حدادها أسودٌ من ثيابها  
إذا مَشَتْ أَحْسُهُ دماً وسالاً من أهدابها  
يتبعها فراشة ويرتمي أغنيّةً في بابها... الخ  
وزاد في هذه المنظومة أنه جعل كل ثلاثة أبيات على قافية مستقلة،  
فكان تنويعه في المنظومة تنوعاً في الأوزان وتنوعاً في القوافي وهذا  
داخل في ما يُطلق عليه أحياناً كلمة (التجديد).  
ويلاحظ قارئ شعر نديم محمد أن القصيدة وإن طالت  
لا يتخللها ما يطرأ عند بعض الشعراء من ضعف القافية أو استجلابها  
استجلاباً أو مجيئها قلقلة لنضوب معينه اللغوي وضعف طاقته الشعرية.  
وهذا نوع محمود من الخصائص يدخل في ما يعرف بائتلاف الوزن مع  
القافية.



وتجاوز شعر نديم محمد عن بعض الأبحر الشعرية كالمقتضب  
والمضارع والمنسرح ، ويحتاج الأمر إلى إحصائية شاملة لكي تكون  
الأرقام دقيقة .

على أن الحس الموسيقي عند نديم محمد هداه إلى الأبحر والقوافي  
المناسبة للموضوعات والقضايا التي عالجها أو كانت على وفق  
ما يريد، وما ينفعل به .  
وبعد.....

فهذه قراءة في شعر نديم محمد وشاعريته..... وهو شاعر يحمل  
هذا الاسم عن قوة وجدارة وتمكن وإشراف : أطاعته اللغة والموهبة  
ومسارب الشعر المختلفة من ذاتية داخلية ، ومن عامة خارجية ، فكان  
شعره صدى نفسه أولاً وكان فيه صدىً آخر لأشياء كثيرة وأمور  
مختلفة عرضت للأمة العربية ، وللقطر الذي يعيش فيه ..... شاعرية  
تحمل سمات الإتقان والإبداع والمبادهة ، وشعر فيه خصائص الشعر  
العالى .

على أن شعر (نديم محمد)، وكما شكنا حقاً لم ينل الذبوع الذي  
يريده والذي يستحقه.  
وكان في هذا البحث (المحدود الإطار) تلمس للإجابة عن  
ذلك.....

وما يزال نتاج نديم محمد حاضراً لكل من يحب الشعر ويقدر  
الشاعرية ليمده ، ويمتد نفسه ، ويغني الدراسات الأدبية والنقدية  
في سورية .....  
ثم أقول :

إضافة إلى ما قرأناه من (أسرة الشاعر) عن تشوقه إلى طباعة آثاره، نقرأ في المجلد الثالث تحت عنوان (اشهدوا) قطعتين من الشعر، يقول في الأول نشرأ بعد العنوان<sup>(١)</sup>:

«أدمع مذروفة فوق رماد عشرين مجموعة أدبية مخطوطة بيد القهر في ليالي السقم والوجع».

وفي القطعة الأولى:

اشهدوا أحرقتها زُلْ	ففى إلى العقم بناتي
اشهدوا أحرقتها في الند	ارأغلى من حياتي
هي كانت المأ غصّ	به جبر دواتي
فانظروا فيها دمي جمرأ	مشى في جمرات

ومن القطعة الثانية:

أُحْرِقُهَا أُحْرِقُ أُمِّي بِهَا	أُحْرِقُ يَوْمِي وَغَدِي وَالْأَمَلِ
أُحْرِقُ أَمْرَ اللَّهِ كُنْ شَاعِرًا	أُحْرِقُ مَا كَانَ (أَنَا) فِي الْأَزَلِ

والقطعة من ستة أبيات .

وفي الكلام نشره وشعره مرارة شديدة تذكرنا بإحراق أبي حيان التوحيدي كتبه ، وقد أدركه اليأس في إحدى مراحل حياته .  
وقد أهتم نديم محمد نتاج فكره وشعوره ، وقد لبث بين يديه زماناً يطمح إلى نشره وتخليده

والباحثون مدعوون إلى المجموعة الشعرية الكاملة فإن فيها أغاريد وأناشيد وآهات وهموماً وآمالاً وصوراً من الحياة ومرآة مكبرة للشاعر ... وشاعريته ...

---

(١) المجلد الثالث: ٣٠٧.

## قراءة نقدية في شعر نديم محمد

أ. د. رياض العوادة

وُلِدَ نديم محمد في شهر تشرين الثاني من عام ألف وتسعمئة وتسعة في قرية عين الشقاق القريبة من مدينة جبلة، وقد سميت بهذا الاسم لوجود ورود شقائق النعمان فيها .

أما نسبه فينتهي إلى علي أبي شلحة أو بالهمزة شلحاء، وهو نسب يفتخر الشاعر بانتسابه إليه إلى درجة تسمية إحدى مجموعاته الشعرية بـ (شلحاويات) ومن قصائده الأولى التي يمتدح فيها ابن عم له يذكر النسب بكثير من الشموخ والاعتزاز ، يقول فيها :

شباب شباب هبوا واقفينا      وبالهامات حيّوا خاشعينا  
أمامكم فتى شلحا المفدى      وباني مجدها في العالمينا

أمّا نسبه من أمه فهي: مزنة بنت عباس بنيات .

كان نديم محمد واحداً من خمسة أبناء، أمضى طفولته العشر الأولى في قريته البيئة الطبيعية الأولى التي أحبها بما مثّلت له من حياة طفولية، وكان يقضي وقته فيها كما يذكر، يصطاد العصافير بالفخاخ ، والسّمك بالسنارة، أو ينبش الأعشار، وكثيراً ما كانت تطارده الأفاعي في الجبال

والوديان ، فيهرب منها أو يمارس هوايته في تسلق أشجار السرو  
الباسقة يقتنص فراخ عصفور الدوري ، وساعده في ذلك رشاقته  
وضآلة جسمه .

وتلقَى تعليمه الأول على يد الشيخ سليمان الخطيب شيخ الكتاب  
الذي يصفه بالشدة على غرار ما كانت عليه الدراسة في تلك الحقبة من  
الزمن .

ثم التحق بمدرسة (العنازة) التي يمتلكها الشيخ علي العباس ،  
وفي هذه المدرسة تعلم محتويات الحلقتين : الأولى والثانية من سلسلة  
القواعد للشرتوني ، و ما تتضمنه من نماذج أدبية<sup>(١)</sup> .

وقد بدأت بوادر النبوغ بالظهور لديه مبكراً مما لفت انتباه الأب  
الذي راح يطلب من أخوته أن يدعوه وشأنه، وقد تجلّت بوادر الذكاء  
لديه في أمرين اثنين :

١ - في نظمه الشعر في سن مبكرة : إذ كتب أول بيتين، ولم يتجاوز  
الرابعة عشرة من عمره، وهما :

لقد زعموا بأن لنا إلهاً      ألا إن الجبال هو الإله  
فقل للزاعمين برئت منهم      لأنني لم أجدر بآ سواه

٢ - في سرعة البديهة وحضور القرينة الشعرية .

أنهى تعليمه الابتدائي عام ١٩٢٥ م، فكانت هذه المرحلة مرحلة  
اطلاع الشاعر على تراث أمته الذي واصله في بيروت في مدرسة

---

(١) جريدة الثورة : عدد ٦٨١٨ ، تاريخ ١٧/٨/١٩٩١ ، دمشق من حوار مع  
الشاعر ، ل : حسين عبد الكريم .

اللايك الفرنسية بعدها رغب في متابعة تحصيله العلمي فقرر السفر إلى مدينة مونيخ في فرنسا .

أهله معرفته القراءة والكتابة ليعمل بوظيفة كاتب عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين ، وكانت هذه الحرفة وظيفه مرموقة في تلك الأيام ، وتنقل بعدها في عدة وظائف ، أبرزها :

أمانة سر المحافظة في اللاذقية، فمراقب في مؤسسة الميرة، ثم مدير لناحية حرور، فناحية الشيخ بدر، إلى أن اضطره المرض لترك الوظيفة عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين، إذ أوصله مرض التدرن الرئوي إلى جنس في بيروت عام ١٩٤٩ .

«لم يكن نديم محمد يعرف في الحق لومة لائم، فكان سلاحه شعره الذي لم يسلم منه أحد من رؤسائه، مما أثار عليه حفيظة الكثيرين الذين حاولوا إبعاده عن طريقهم بكل الوسائل، ولذلك كثرت تنقلاته بين الوظائف التي كان يبدلها كما يبدل الملابس»<sup>(١)</sup>.

وكان مشاكساً لاذع الهجاء لا ترحم كلمته صغيراً أو كبيراً ومن ذلك هجومه وانتقاداته التي كان يوجهها إلى رفيقه في الانتماء الحزبي وسمير سهراته أكرم الحوراني الذي كان أسبق منه في الانتساب إلى صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي الذي التزم به سياسياً منذ بدايات تأسيسه حتى زمن الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨، عند حلّ الحزب نفسه<sup>(٢)</sup>.

---

(١) جميل حسن : نديم محمد (سيرة حياة وقراءة شعر) ص ١٨ .

(٢) أمين إسبر : نديم محمد ، دار الأهالي ، ١٩٩٤ م ، ص ١٣ وما بعدها .

- أصدرت وزارة الإعلام في سورية أعماله الشعرية منذ العام ألف وتسعمئة وسبعة وتسعين نوردها حسب تواريخها وهي :
- المجلد الأول : اشتمل على مجموعات : ( من خيال الماضي، براعم ربيع، ورود خريف، آفاق).
  - المجلد الثاني: وقد ضمَّ (آلام بأجزائها الثلاثة، فراشات وعناكب).
  - المجلد الثالث : وقد شمل المجموعات التالية : (قصائد للوطن، ألوان، غربة الحس، هالة، حول الشعر الحديث).
  - المجلد الرابع : وفيه مجموعتان هما (رفاق يمضون، من حصاد الحرب).
  - المجلد الخامس : (فرعون، فروع من أصول، شلحاويات، استفهار الماضي، تيمور، مسارح أفكار ومسرحيات قصيرة).
- وفي حوار مع الشاعر نديم محمد، ذكر قول الشاعر عمر أبو ريشة:

«يمثل الشاعر نديم محمد واحداً من ثلوث متميز من الشعر العربي السوري إلى جانب بدوي الجبل وعمر أبو ريشة الذي كان يعد نديماً أشعرهم في الحزن»<sup>(١)</sup>.

وقد ذاعت شهرته منذ العام ألف وتسعمئة وستة وخمسين في مؤتمر الأدباء ببلودان، ويقول د. طه حسين :

---

(١) رأي عمر أبو ريشة أورده نديم محمد في حوار معه ، جريدة الثورة ، عدد ٨٦١٨ ، دمشق ، حوار : د. حسين عبد الكريم .

(الشاعر نديم محمد لو لم يكتب إلا ديوانه آلام الذي أرسله إليّ  
وَقُرِّئَ على سمعي فأطربني ما سمعت ... لو لم يكتب هذا الشاعر إلا  
هذا الديوان فحريُّ بالشعر العربي أن يضمه إلى فحوله الكبار فهو في  
آلامه بلغ العلو الشاهق، ولم ينخفض إلى السفح، وهذا يكفي الشاعر  
ليكون شاعراً<sup>(١)</sup>).

أمضى أواخر أيامه في طرطوس حبيس المرض والعوز حتى وفاته  
في السابع من العام ألف وتسعمئة وأربعة وتسعين، عن عمر يناهز  
خمسة وثمانين عاماً، قضاها مخلصاً للكلمة، مدافعاً عن مواقف آمن بها  
والتزمها.

كان نديم محمد شديد الصلة بتراث أمته ولغته العربية، فتأصلت  
في نفس الشاعر هذه النزعة التراثية الأصيلة التي بقيت ملازمة له شكلاً  
ومضموناً.

فمن حيث الشكل: التزم الشاعر نظام القصيدة الموزونة (ذات  
الشطرين) وما كتبه من شعر حديث (شعر التفعيلة) خارج هذا  
الالتزام لم يتجاوز الست قصائد كان للتسلية كما يقول الشاعر نفسه.  
أما من حيث المضمون، فقد حافظ الشاعر على اللغة وجماليات  
الأسلوب العربي الأصيل، فلم ينحرف بها على الرغم من انحراف غيره  
من الشعراء المعاصرين وانسياقهم خلف تيارات الحداثة التي عاصرها  
الشاعر، بل نجده يؤكد فهمه ورؤيته للشعر، فيعد الوزن واللغة  
السليمة أساساً في كتابة الشعر.

---

(١) نقلاً عن جميل حسن: نديم محمد (سيرة حياة وقراءة شعر) ص ٢٢٥.

وهذا الجانب التراثي في لغته ينقلنا إلى الكشف عن قراءات نديم محمد الشعرية ومدى انعكاساتها، وتأثر أسلوبه التعبيري بها، واستفادة منته اللغوي من هذه الذاكرة التراثية فيما يسمى بالمصطلح النقدي (التناص)، فنجد في شعر نديم محمد أخلاقيات عنتره بن شداد، إذ قال:

أثني عليّ بما علمت فإنني      سمح مخالفتي إذا لم أظلم  
فإذا ظلمتُ فإن ظلمي باسلٌ      مرٌّ مذاقته كطعم العلقم<sup>(١)</sup>  
فهو يلتقي مع قول نديم محمد:

جربتُ أخلاق الرجال      ل فقلت أختار السباح<sup>(٢)</sup>  
فالذاكرة التراثية حاضرة لدى الشاعر نديم محمد عند إبداعه شعره ويتجلّى ذلك من خلال حصول التلاقي الفكري في:

البنية اللغوية: فقد استخدم عنتره الشرط لتحقيق الجواب بوجود الأداة (إذا) على التقديم والتأخير، بينما استخدم نديم الشرط المضمر، فكأنه قال إذا جربت أخلاق الرجال أقول أختار السباح، وكذلك في استخدام اللفظ نفسه (سمح / السباح) بينه وبين عنتره.

وإذا انتقلنا إلى العصر الأموي نجد أثر الشاعر عمر بن أبي ربيعة أكثر وضوحاً في غزليات نديم محمد خاصة ما يتعلق منها بمغامراته النسائية، ويتجلّى هذا الأثر باستخدام الحوار في نسيج النص الشعري، وإن اختلفت طريقة التوظيف والدور، ففي حين يأخذ الشاعر عمر بن أبي ربيعة دور الواصف الراوي لأحداث النساء التي تدور فيما بينهن عنه، كما في قصيدته (وهل يخفى القمر) التي يقول فيها:

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني . ص ١٦١ .

(٢) مجموعة فراشات وعناكب . ص ٩٣ .



فلن يسترضينها منيتنا      لو أتاننا في سرّ عمر  
بينما يذكرني أبصر نني      دون قيد الميل يعدوني الأغر  
قلن تعرفن الفتى؟ قلن نعم      قد عرفناه وهل يخفى القمر<sup>(١)</sup>

نجد أن استخدام الحوار في شعر نديم محمد يقوم على لغة القصص التي تتخذ من فعل الحكيم شكلاً تعتمد عليه بنية القصيدة عبر تواتر الفعلين (قلت وقالت) في حركة متناوبة بين الشاعر وامرأة غربية يترك الشاعر لها المجال لتعبر عن نفسها بما يحقق للنص ارتباطه بمرجعية الواقع، ويكسبه حرارة تولده سيرورة الحدث عبر الحركة المتولدة كما في قصيدته (غريبة وكهف):

قلت: وتنشد عندنا      قلت: الهوى من كل صنّف  
قلت: أتعبث قلت من      يدري فتنهري بطرف  
وتقول: أفٍ للشيا      طين الصغار فقلت: أفٍ  
وتعاجبت زير صفـ      ير قلت تسميتي ووصفي<sup>(٢)</sup>

ومن ذلك استخدامه الحوار في نشيده المرقع بالرابع عشر، إذ نجد التأثير واضحاً من حيث الفكرة، وإن اختلفت جنسية المتكلم:

قلت الوردة الصغيرة للكـ      رى بصوتٍ مجرّح النبرات  
أنا يا أم لم أعش لأرى الشا      عر ماذا يكون في الكائنات  
لم تجب أمها ولكن رويدا      ت غيارى أغرقن بالوشوشات

---

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٥١ .  
(٢) مجموعة فراشات (غريبة وكهف) ص ٦٠ .

يا لها غرّة وحمقاء كالنحـ  
ل وعرياً من ثوبها كالخـ  
أي شيء يكون طائرٌ ليلٍ  
يتلهى في الليل بالثرثرات  
وتضحكن قد تغتمن في الليـ  
ل فماذا تقول للجاهلات<sup>(١)</sup>

ومن استعانت به معاني القدماء نجده يستحضر المتنبي الذي وصف  
نحول جسمه في قوله :

روح تردد في مثل الخلال إذا  
أطارت الريح عنه الثوب لم يبن  
كفى بجسمي نحولاً أنني رجل  
لولا مخاطبتي إياك لم ترني<sup>(٢)</sup>  
إذ يقول نديم محمد في هذا المعنى :

خفّ جسمي حتى لتسأل عني  
العين من مقعدي ومن جلبابي  
ماتت اللون ضائع اللفظ في الحد  
ق كأي مفرغ من إهابي<sup>(٣)</sup>  
و للذاكرة حضورها في استخدام تراكيب تبدو مألوفة من حيث  
طريقة الاستخدام أو المفردات كما في قوله :

صنّتُ روحي وصنّت نفسي عن الرجـ  
س فكأن العذاب حسن جزائي<sup>(٤)</sup>  
فمثل هذا الاستخدام للتركيب (صنّت نفسي) والإيقاع العروضي  
المتمثل بالبحر الخفيف تعيد الذاكرة إلى قصيدة (أيوان كسرى) للشاعر  
البحثري الذي يقول فيها :

---

(١) آلام ١ (٩٠-٩١-٩٢) .

(٢) المتنبي شرح العكبري . ص ١٨٦ .

(٣) آلام ١ . ص ٨٥ .

(٤) آلام ٣ . ص ٦٤ .

صنّت نفسي عمّا يُدنّس نفسي وترفّعتُ عن جدا كلّ جيس<sup>(١)</sup>  
وكان الشاعر يتعمد المعارضة في هذه القصيدة، وإن لم يلتزم  
القافية نفسها .

وتلتقي حالة الاغتراب التي يعيشها الشاعر على الصعيد النفسي  
مع اغتراب المتنبي الذي يجد نفسه وحيداً في مجتمع لا يفهمه ولا يقدر  
فيه الإبداع، يقول :

ومن الجهل أن تسود بغير الـ      جهل في أمة العصا والنير<sup>(٢)</sup>  
فهذه الحالة تلتقي مع اغتراب المتنبي في رفضه الانتماء لمجتمعه  
وواقعه حيث قال :

أنّا في أمة تداركها الله      غريب كصالح في ثمود<sup>(٣)</sup>  
وكان للتربية الدينية أثرها في رفق شعره بروافد من معين التراث ،  
إذ يستقي النص الشعري لديه من الديانة الإسلامية مفردات أغنت  
المتن اللغوي وأمدته بزخم كبير من الألفاظ الإسلامية ويبرز هذا التأثير  
في أشكال عدة :

أولاً : استخدام الأسلوب القرآني نفسه في الصياغة التي يعتمد  
فيها الأداة الظرفية المكانية (إذا) في قوله :

فإذا الماء عسجد في السواقي      وإذا الورد أنجم في الروابي

---

(١) ديوان البحري. ص ١١٥٢ .

(٢) آلام ٣ . ص ١١٥ .

(٣) المتنبي مصدر سابق ج ٢ - ص ٧٥٢ .

وإذا الطير في الخمائل أعرا س عذارى على الضفاف الرطاب<sup>(١)</sup>

فمثل هذا الاستخدام يميل إلى أسلوب القرآن الكريم في قوله :  
﴿وإذا الكواكب انتشرت \* وإذا البحار فجّرت \* وإذا الغيوم  
بعثت﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن الأسلوب القرآني أيضا استخدام صيغة النفي كما في قوله :  
لا تمش في خدّ الغدير — ر ولا على وجه الحرير<sup>(٣)</sup>  
في قوله تعالى :

﴿ولا تمش في الأرض مرحاً \* إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾<sup>(٤)</sup>.

ثانياً : إغناء النص الشعري بمفردات ذات دلالات دينية مستفيدة  
من الديانات الثلاث نوردها تبعاً لكثرة استخدامها ، فمن الديانة  
الإسلامية نجد مفردات مثل : ( القرآن ، محمد ، أحمد ، الصلاة ، نبينا  
العربي ، الإسلام ) .

يقول :

بالله بالإسلام لا تبكي على القدس الشهيد  
بنبينا العربي لا تصغي إلى شكوى العبيد<sup>(٥)</sup>

---

(١) فراشات وعناكب - ص ٣٢ .

(٢) سورة الانفطار: (١-٢-٣-٤) .

(٣) فراشات وعناكب - ص ٩٤ .

(٤) سورة لقمان: ١٨ .

(٥) مجموعة فراشات وعناكب - ص ٧٨ .

ومن الثقافة الدينية المسيحية نجد أسماء مثل : (المسيح ، الصليب ،  
الإنجيل ، طوبى ، مريم).  
يقول :

لابنت عمران استفا      ق بها الحياء ولا أمية  
وبلى يرشون الصلا      ة مع البكور وفي العشية  
لا يوصف الإنجيل وال      قرآن للمعد الخويّة  
الجنة الخضراء في      ظلّ السيوف المشرفية<sup>(١)</sup>

وكثيراً ما تطرّق نديم محمد إلى ألفاظ الإسلام التي تنمُّ على ثقافة  
الشاعر الدينية وحسن توظيفه إياها في نصوصه الشعرية - حتى الغزلية  
منها - يقول في قصيدة (محراب الحب) مستعيراً هذه الألفاظ لنفسه  
(محراب قلبي ، صلاة قلب) :

لا تحسبي حبي غواية ماجنٍ      أو نزوةً من عابثٍ مغرورٍ  
حبي طهارة شاعرٍ متعبدٍ      وصلاة قلبٍ سائلٍ منهورٍ  
فبحقٍ إيمان القلوب وحبها      طيري إلى محراب قلبي ، طيري<sup>(٢)</sup>  
ويقول في قصيدة أخرى مستعيراً لها ألفاظ الإسلام مجازاً فكأنها  
معبد ورحمة من الله :

يطهر الشرك بالمحبة والخير      ويجزى ... برحمة الإسلام

---

(١) فراشات وعناكب - ص ٧٦ .

(٢) نديم محمد : الأعمال الشعرية الكاملة، م ٢، وزارة الإعلام، دمشق، ط ١، ١٩٩٧  
م، ص ٢٥٠ .

أنتِ في شعري صلاة الوحي في معبدٍ... فكـري<sup>(١)</sup>  
- و من ألفاظ القرآن الكريم (سلسبيل) في قوله في النشيد  
الثالث:

كجناح السنى .. يحوم على الطين التماساً .. والمورد السلسبيل<sup>(٢)</sup>  
- ويقول في النشيد الأول (ثقافة دينية):

أنا كالقتل في شريعة موسى وأنا كالجحود .. في الإسلام  
لولا العيون السود ما سيم الردى هابيلُ أو عرف الخطيئة آدمُ  
لم يغنِ من أدوائهنَّ تائم ورقى وكم أغنت رقى وتائم<sup>(٣)</sup>

كما نجد عند نديم محمد اللغة المأنوسة التي تتسع إلى العامية ولا  
توغل في تراثيتها فتحتاج إلى المعاجم لفهم دلالتها، ومن معالم هذه  
الواقعية استخدام مفردات تقترب من اللغة الدارجة عبر صيغ اشتقاقية  
تبعث فيها الحيرة مثل (تسكّعت، تسمّعت) يقول:

وتسمّعت حالماً لا شتداد الصخر ر في السفح وانفجار الرنين  
وتسكّعت في طريقي وللرا كي ورائي تعجب من جنوني<sup>(٤)</sup>  
ومن ذلك (زيقي) في قوله:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٥٦ .

(٢) نديم محمد: الآلام ج ١ - ص ٢٧ .

(٣) نديم محمد: الأعمال الشعرية الكاملة م ٢ - ص ١٧٦ .

(٤) آلام، ج ١ - ص ١٣٦ .

ولم أنسَ مدرجها على صدري ومأخذها بزيقي<sup>(١)</sup>

ومن التراكيب (نوم العمى) و(نار انتظارك) يقول:

نوم العمى والموت للـ غافين في عرس الجمال<sup>(٢)</sup>

ومنه قوله في موضع آخر:

أحرقت في نار انتظا رك جتتي والصبر كفر<sup>(٣)</sup>

ونلاحظ اهتمام نديم محمد بلغة الخطاب لديه التي تبين إدراكه مسألة التعامل مع أداته - اللغة - إذ ارتكزت إلى منطلقين هما: التراث والمعاصرة، فثمة عملية مزاجية بين لغة الأصالة من جهة ولغة المعاصرة من جهة ثانية، فألفاظه مشدودة إلى تراثه الذي تستقي من معينه مفردات اللغة الأصيلة، كما تستفيد في الوقت نفسه من لغة العصر الذي ترتبط به معيشياً، فالمتن اللغوي لدى الشاعر نديم محمد يستعين بمفردات ذات دلالات مثل: (الغناج، لعوب، معمد، السيف، فجاج، الهضيم) يقول:

كاعب حلوة الغناج بألوا ن اشتها كالجمر حمر وشهب<sup>(٤)</sup>

كما تتردد في هذا المعجم مفردات العصر والواقع بدلالاتها المختلفة مثل مفردات (المدير، مخدتنا الطرية، اللحاف).

إن إدراك الشاعر مسألة اللغة يجعله يقيم مواءمة في تخيره مفرداته التي شكّلت معجمه اللغوي الذي ينم على مقدرة الشاعر في إقامة

(١) فراشات وعناكب - ص ٥٦.

(٢) المصدر نفسه - ص ٦٩.

(٣) المصدر نفسه - ص ٢٠.

(٤) آلام ٢ - ص ٧٥.

توازن بين لغة التراث والمعاصرة في إطار نسج لغوي يصهر فيه الشاعر ما هو تراثي بما هو معاصر في بنية النص ليخرج في تشكّل دلالي جديد يتسم بلغة الشاعر الذاتية بما يضيفه عليها من شاعريته وإحساسه، فتتلاشى الحدود، وتزول الفوارق في لغته المنتجة بين المفردات التراثية، ومثيلتها المعاصرة من خلال تشكلاتها الدلالية المنتجة .

وبعد، يُعدّ الشاعر نديم محمد من رواد القصيدة الكلاسيكية، اعتمد المذهب الرومانسي، وشكّل ظاهرة مميزة في تاريخ الشعر العربي المعاصر عامة، والشعر السوري خاصةً، فهو شاعر الألم والحرمان والحزن والعزلة، عاش حزيناً، ومات وحيداً، لاحقته الخيبات، لكنها لم تمنعه من أن يكون شاعراً عظيماً بتناجه الشعري ومواقفه ورؤاه.



## المصادر والمراجع

- ١- آلام (الأجزاء الثلاثة): نديم محمد، دار الحقائق، بيروت ١٩٨٥ م.
- ٢- الأعمال الشعرية الكاملة، مجلد ٢، وزارة الإعلام، دمشق ط ١ - ١٩٩٧ م.
- ٣- أمين إسبر: نديم محمد، دار الأهالي، ١٩٩٤ م.
- ٤- ديوان البحري: تح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، مج ٢، ١٩٦٣.
- ٥- ديوان عمر بن أبي ربيعة: تح محمد محي الدين عبد الحميد - دار الأندلس، بيروت ط ٢.
- ٦- شرح المعلقات السبع للزوزني، دار الإرشاد، حمص ٢٠٠١ م.
- ٧- شرح ديوان المتنبي للعكبري: تح مصطفى السقا وآخرين، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧١ م.
- ٨- فراشات وعناكب: نديم محمد، دار المعجم العربي، بيروت ط ٢، دار الحقائق ١٩٨٥ م.
- ٩- جميل حسن: نديم محمد سيرة حياة وقراءة شعر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٠ م.

١٠ - شاعرية نديم محمد من منظور المنهج النفسي، رسالة ماجستير  
إعداد منى داغستاني (جامعة دمشق).

### الدوريات :

- ١ - جريدة الثورة : عدد ٦٨١٨، تاريخ ١٧/٨/١٩٩١م. دمشق . من  
حوار مع الشاعر ل: حسين عبد الكريم .
- ٢ - نديم محمد شاعراً رومانسياً وقومياً، د. عادل فريجات .
- ٣ - الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق عدد ٣٤١، أيلول  
١٩٩٩ .

## نديم محمد وعصره

مالك صقور

الحديث عن الشاعر الكبير نديم محمد يتطلب العودة إلى القرن الماضي بكامله. إذ وُلِدَ في العقد الأول من القرن العشرين، وغادر هذا العالم ملتحقاً بالرفيق الأعلى في العقد الأخير منه .

ولا أبلغ إن قلت، إن نديم محمد :

التزق، المتذمر، الملول، الساخر، الساخط، المشتمز، الناقد، الناقم، القلق، المضطرب، المتناقض، الصادق، الصريح، الشفاف، المتمرد... هو من أهم شعراء القرن العشرين، ليس في سورية فحسب، بل وفي الوطن العربي...

والشعر الذي كتبه بدم قلبه، خلال سبعين عاماً يشهد ويبرهن على ما أقول .

وإنه لمن المغربي، أن يطوف الباحث والقارئ في بستان - نديم - الوارف، المثمر، الناضج، الشهي .

وإنه لمن المغربي أيضاً، دخول عالمه الرحيب؛ والوقوف عند موضوعاته الثرة، وقيمه الجمالية، والفنية.

وأغراضه الشعرية الفنية المتنوعة من شعر وجداني وقومي  
ووطني، ومن غزل، ومديح، وفخر، ووصف، ورثاء، وهجاء،  
وعتاب...

أجل... إن الحديث عن نديم محمد، يعني الحديث عن قرن  
بكامله، يعني الحديث عن أحداث عاصرها وعاشها، تأثر بها فعاكسها  
شعراً... منذ يفاعته إلى نهاية حياته.

فقد وُلِدَ في العقد الأول من القرن العشرين سنة ١٩٠٧ م  
و انتقل إلى الدار الآخرة في العقد الأخير منه سنة ١٩٩٤ م.

\* \* \*

إذن ...

- وُلِدَ نديم محمد والبلاد ترزح تحت هيمنة الاحتلال العثماني  
البعيض .

- ووعي الحياة مع صدى الثورة العربية الكبرى حين قال من سُمي  
بالشريف حسين: «طاب الموت يا عرب».

- وتفتَّح وعيه على صوت الطلقة الأولى التي أطلقها الشيخ صالح  
العلي في وجه الاستعمار الفرنسي .

- وترعرع وكبر والبلاد تنتقل من تحت النير العثماني إلى نير المستعمر  
الفرنسي .

- ونضج في مرحلة الاستقلال وما تلاها من مراحل، كما سنرى.

وهذا يكفي لنعرف حال البلاد والعباد والمنطقة برمتها، حيث  
تفشى الجهل، والتخلف، والفقر، بسبب الاحتلال التركي الغاشم

الذي أطلق يد الإقطاع ومكّن الموالين له والمستزلمين، وشجّع العقلية البليدة المتخلفة المستبدة، التي بدورها أفشت الأمراض الاجتماعية كالطائفية، والمذهبية، والقبلية، والعشائرية، والأفخاذ العائلية .

في هذا المناخ، وفي هذه البيئة وُلِدَ ونشأ وترعرع نديم محمد شاعر المستقبل .

ولكن، وإن كان هذا هو المناخ السياسي السائد جراء الاحتلال التركي الغاشم البغيض وتبعاته الصعبة، فالحق يُقال، على الرغم من كل الصعوبات، ومن كل الظروف القاسية، فقد حافظ أبناء الريف على القيم والفضيلة ... حافظوا على براءة هذا الريف وعفويته، وصدقته، وتمسكه بقيم الكرم وحب الضيف، والمروءة، وإغاثة الملهوف.

وهذا تجلّى عندما أعلن المجاهد صالح العلي ثورته على فرنسا .

وهذا ما تناوله نديم محمد نثراً وشعراً. وتحدث عن تلك المرحلة وقد سمعها كل من زار الشاعر .

### المرحلة الأولى : الطفولة

كتب الشاعر معرّفاً بنفسه، كتب عن حسبه ونسبه وأسرته، وأنا هنا لن أعيد ما كتبه الشاعر نفسه، ولا أكرر ما كُتِبَ عنه. ولقد كتبت غير مرة بالتفصيل عن تلك المرحلة، مرحلة الطفولة والشقاوة، كما يصفها الشاعر نفسه .

ولكن أود أن أتوقف عند أمر هام في تلك المرحلة من عمر (نديم) هو عندما أصبح عمره أحد عشر عاماً، بدأ يقرض الشعر .

إذ تفتحت موهبته، في هذه السن المبكرة، في بداية المراهقة،  
وللتعرف على شخصية شاعر المستقبل، لا بدّ من ذكر بيتين من الشعر،  
لهما أهمية كبيرة - في رأيي - وذلك عام ١٩٢١... إذ قال :

لقد زعموا بأن لنا إلهاً      ألا إن الجبال هو الإله  
فقل للزاعمين برئت منهم      فإني لم أجد رباً سواه  
سبب هذان البيتان هدر دمه. فقد أهدر (المشايخ) دم نديم محمد  
على الرغم من حدائته. ففرّ من القرية ولجأ إلى عائلة في أعلى الجبال.  
وبقي مختبئاً حتى هدأت العاصفة، والأرجح أنه أعفي عنه بسبب  
وجاهة أبيه وغناه .

و بغض النظر عن مضمون هذين البيتين، وبغض النظر أيضاً عن  
الإيمان والإلحاد، فإن هذين البيتين يضعان المفتاح بيد الباحث والقارئ  
معاً، كي يتعرفا على شخصية نديم الفتى المراهق - شاعر المستقبل - الذي  
قال البيتين وهو بين الثانية عشرة أو الرابعة عشرة .

.... أقول : يضعان المفتاح بيد الباحث والقارئ لمعرفة  
الفتى المراهق، الذي أعلن تمرده (ربما دون أن يدري) على الأعراف  
والتقاليد.

وفي تقديري، إن تمرّد نديم في هذين البيتين، ليس لإعلان إلحاده  
أو عدم الاعتراف بالإله (لأنه ما زال صغيراً) بقدر ما هو تمرّد وتحدّ  
للعقلية السائدة، التي يسيطر عليها حفنة من رجالٍ يرفضهم نديم .  
فلنتأمل :

فقل للزاعمين برئت منهم

إذاً: الخطاب موجّه لرجال الدين.. وفي قوله: برئت منهم: يتم المعنى، إذ يعلن البراءة منهم. وفي الوقت نفسه يدل البيتان على النزعة الجمالية والإبداعية في ذهن الفتى المتّقد ذكاء، وهو في بداية طور المراهقة.

قصيدة أخرى أودّ التوقّف عندها، لأنها من الأهمية بمكان، ليس لتساؤل نديم وحيرته، بل من أجل عمر الفتى المراهق شاعر المستقبل، الذي يبدو أنه نسي قضية الذبح وهذّر دمه، فيعود بعد سنتين وينظم قصيدة بعنوان: أين الحقيقة؟ وذلك عام ١٩٢٣.. وهي قصيدة طويلة أختار منها الأبيات التالية:

رقد الجميع وظل ساهر	غضّ الصباريّان شاعر
طيفان رقّا..... حوله	وكلاهما..... ناهٍ وأمر
تاه الفتى ما بين فطرة	مؤمن وشعور فاجر
في نفسه ضدان محمول	على دعة..... وثائر
أين الحقيقة؟ في الغنى؟	هتف الشعور ولم يحاذر
في اللهو، في اللذات في	فعل الصغائر والكبائر
فاقطع رجاءك بالسماء	ولكن ولا تثريب كافر
فالروح بعد الموت لعبة	لاعب بيد العناصر
لا لذة تدري.... ولا	المأّ ولا حشر حاشر
كل الحقائق في الحياة	وما هذا الدهر آخر

تذكر هذه القصيدة ببعض قصائد أبي العلاء المعري، لكن - كما قلت - قد يكون من الطبيعي الشك والحيرة والتساؤل، وإنما الذي يدعو

للتساؤل هو أن يصدر هذا الشعر عن فتى لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره .

ومرةً أخرى، يصطدم بالعقلية ذاتها وبالأشخاص أنفسهم، ومرةً أخرى يتعرض لهدر الدم، والنبذ، واللعن، لكنه... هو يبحث عن الحقيقة، وفي مثل هذا العمر، يتعرض المرء للشك وقد يكون الشك أحياناً طريقاً إلى اليقين . والحقيقة الآن بالنسبة إليّ - وقد ناقشت نديماً طويلاً وكثيراً - لا يهمني إن كان نديماً ملحداً أو مؤمناً أو كافراً . فإن كان مؤمناً فلنفسه وإن كان كافراً فلنفسه أيضاً .

لكن كما قلت، إن هذه القصيدة مع البيتين عن الجمال يضعان المفتاح بيد الباحث، ويكشفان عن شخصية الشاعر، يكشفان عن عمق فهمه، يكشفان عن محاكمته للأمر الكبير، وفي الوقت نفسه يدلان بقوة عن شخصية الشاعر المتمردة، وهذا التمرد رافق الفتى نديم صغيراً، وصاحبَه يافعاً، ولازمه كهلاً وشيخاً، وحتى غادر هذه الفانية...

\* \* \*

### المرحلة الثانية :

بُعِيد تلك الفترة بقليل، وهو في بيروت في مدرسة (اللايك) ألقى نديم قصيدة طويلة في ذكرى الشهداء العرب، شهداء السادس من أيار وذلك في ٦ أيار عام ١٩٢٦ .

أُسْمِعْتُهَا فِي مَسْتَهْلِ الصَّبَا      أُسْطُورَةٌ رَحْتُ بِهَا مَعْجَبَا  
كَانَتْ بِكَفِّ اللَّهِ مَجْمُوعَةٌ      مِنْ كُلِّ نَفْسٍ مِثْلَهُ بِالْإِبَا



شهيدة الإعجاب في صنعها  
ما أذنت في صون آلائها  
أدت إلى الحق رسالاتها  
عذرت دمع الناس فلينسكب  
أثمن من أدمعنا كلها  
أثمن من آهاتنا كلها  
أنشب فينا الحزن أظفاره  
بيني وبين المجد إن رمته  
وكل من جاهد في أمة  
إن مسيح الوطن المفتدى  
لا أندب الأحرار من شأنهم  
فما انشوا إلا وأشلاؤهم  
لهم علينا حفظ ما شيّدوا  
مضى جمال، ومضى آخر  
ونحن من نيرٍ إلى غيره  
بلى، ننادي يعرباً يعرباً  
ويعربٌ يوشك خلف البلى  
ما أجمل الذكرى إذا أضرمت  
لكننا، والحق في سكرة

فمرحباً بالموت، يا مرحبا  
إعجاب من أبدعها أذنباً  
ثم استقلت للخلود الطُّبى  
وليعذروا دمعي، فلن يُسكبا  
دم طليل في الذي غُيِّبا  
أخ شهيد أو حسام بنا  
ولو كرهناه ما أنشبا  
ما أبعد المجد وما أقربا  
مظلومة من الردى مذهبا  
لا بدّ أن يؤذى وأن يصلبا  
يوم النوى أن يُحشِنوا المركبا  
في الجو تمضي صُعداً صُوباً  
وليس أن نبكي وأن ننحبا  
مثل جمالٍ كان أو أصلبا  
فهل وجدنا منها مهربا  
طغى علينا النير يا يعربا  
يغضب، لو يملك أن يغضبا  
في دمنا الجدّ، وما أعذبا  
نحسب فيها الأخبث الأطيبا

كما رأينا، نُظمت هذه القصيدة في الذكرى العاشرة لشهداء السادس من أيار الذين أعدمهم المجرم جمال باشا السفاح في دمشق وبيروت . يقول الشاعر : «أعدت هذه القصيدة ليلة ٦/٥ أيار من عام ١٩٢٦ لتُلقى في ذكرى شهداء العرب . وكنت يومها تلميذاً في بيروت - المدرسة العلمانية (اللايك) . فلما جاء دوري وصعدت المنبر لم يأبه لي الناس لصغر سني ... وكان الجو حاراً ... فانصرفوا وبقيت على المنبر ليستمع رفاقي التلاميذ ولا أحد غيرهم».

يذكر الشاعر في هذه القصيدة البسيطة اندحار جمال باشا السفاح، وانكسار نيره، لكننا انتقلنا من تحت نير السفاح إلى نير الفرنساوي، وفي الوقت نفسه، يقول الشاعر، على بني يعرب، ويشكو من طغيان هذا النير، لو كان (يعرب) يملك أن يغضب .  
وتأتي هذه القصيدة في نهاية دراسة نديم في بيروت في مدرسة (اللايك)، واستعداده للسفر إلى فرنسا.

### المرحلة الثالثة :

يقول نديم : «وما كان لي أن أنسى الزعقة العاصفة التي أطلقها المشايخ في وجه أبي عشية سفري إلى «مونبيليه» :  
كفرٌ هو تعلم اللسان الغريب . نجس هو طعام الغرباء «الأعاجم»  
ابنك «خائس» . وخاس بلغتهم : فسد وضاع .  
هذا ما كان .... عندما أرسله والده إلى فرنسا، كي يدرس الحقوق، وهنا يصطدم للمرة الثالثة بالعقلية المتخلفة .

ولكن والده، لم يأبه لهم . ولم يصغ لنصائحهم . ولم يقيم لهم شأنًا... سافر نديم إلى فرنسا، وسويسرا وفي حوزته مبلغ كبير جداً من المال : «مئة ليرة ذهبية» . هذا المبلغ حينها، كان مبلغاً كبيراً . وهذا يدل على أن والده كان من أثرياء القوم .

وتبقى مرحلة دراسة الشاعر في فرنسا، مرحلة غامضة، يقول : «حصل الشاعر على إجازة في اللغة الفرنسية، وأخفق في متابعة دراسته في كلية الحقوق».

عن تلك المرحلة أيضاً يقول : إنه قابل الشاعر بول فاليري، وأسمعه شعراً . والشاعر الفرنسي تنبأ للطالب السوري بمستقبل باهر في الشعر .

وها هو ذا يتذكر قائلاً : «في سنة ١٩٢٦ تضمني جدران (اللايك) في بيروت . وبعد سنة يقودني القدر إلى (مونبيليه) في فرنسا للحصول على إجازة الآداب الفرنسية . ويومذاك لم تكن لمثل هذه الشهادة أكثر من «قيمة» الإلمام بالصرف والنحو، ونظم الشعر، في زعم أهل قرיתי . فأذهب إلى سويسرا لدراسة الحقوق . وفي (برن) العاصمة يتصل بي القنصل الفرنسي، ويدور بيننا حديث، كان من عقباه، إنذار لي من السلطات السويسرية بمغادرة أرض البلاد، وفي حزيران من سنة ١٩٣٠ أعدت مُرغماً إلى سورية ... وطني»<sup>(١)</sup>.

#### المرحلة الرابعة :

ويعود نديم إلى سورية .... يعود إلى ضيعته (عين شقاق) فالشاب الذي تفتح ذهنه في فرنسا، واطلع على الثقافة الأوربية، وقرأ

الأدب الفرنسي. وأعجب بتاريخ الثورة الفرنسية، يعود خالي الوفاض إلى (عين شقاق) يعود ليعيش التناقض فيقول: إنه عائد من باريس، وسويسرا، من المدينة التي يُطلق عليها (مدينة النور) ليجد بلاده ترزح تحت الاحتلال الفرنسي. فهناك في فرنسا: المدينة، الحضارة، الثقافة، المدارس، الجامعات، التحرر، العلمانية! فكيف يمارس هؤلاء المتحررون، أبناء الثورة الفرنسية القمع، والقهر، والاستبداد، لأبناء شعبه؟!!

نديم العائد من بلد النور والجمال والحرية والطبيعة الساحرة إلى ريف متخلف، مقيّد بعادات وتقاليد وأعراف متزمتة بالية تصل إلى حدود الشعوذة والخزعبلات، تلك التي رفضها وعمره أحد عشر عاماً، فكيف يقبلها الآن؟!!

### المرحلة الخامسة

بعد عودة شاعرنا من فرنسا، من الطبيعي أن تبدأ مرحلة جديدة في حياته، لكن الملاحظ، أن بغضه قد ازداد لفرنسا، لاسيما، إنه أدرك كيف يتعامل المستعمر وأزلامه مع أبناء جلدته وكيف يدسون، ويحضرون للفتن بين الطوائف، وبين المذاهب، والعشائر. يقول نديم: «كنا قبضة من رفاق النضال، قليلة بعددها، كثيرة بمقاومتها وإيمانها... يضم علينا المنتدب الأحمق أصابعه الوحشية القاسية... فيلهب من حماسنا وجرأتنا عليه، ويذهله ويرهبه منا، عنفوان التضحية، ومران العمل المركز المثمر.

جاء هذا المستعمر بلادنا... فخيم حتى سدّ رحب العين، على جزء ضيق من أجزاء البلاد... جزء ناءٍ مهمل مفتقر إلى كل مسحة عطف...».

ويتابع الشاعر قائلاً :

«جاء وفي صدره نهم إلى تخليد سيطرته، على هذا الجزء المعزول،  
بشتى وسائل الإغراء والمباشرة، فظهر لعينه بمظهر المبعوث المنتظر ..  
ولكن المؤمنين بالحرية، وبوحدة البلاد العربية، وهم نفرٌ ضعيف،  
لم تحدهم بهارج الوحش المعتدي، فهبوا يناضلون جبروته وطغيانه،  
المختبئين وراء مظاهره الكاذبة ... واندفعوا بحرارة وحمية، ينبّهون  
الغافلين، ويزيحون الستر، من أعين الحالمين، مما ألقأ الذئب المتوادم إلى  
إبراز حقيقته، فإذا له نيوب ومخالب لا يرضيها إلا الدم، وإرواء ظمئها  
من سائله ... المستعمر .

فكانت ثورة صالح الزاهدة المزهدة .. الصابرة المصبرة ...  
فالتحمت مع المنتدب، في وقائع ومعارك، خرجت منها ظافرة في البدء،  
ثم انطفأت بانطفاء شعلة المقومات فيها»<sup>(٧)</sup>.

وأعتذر لهذا المقبوس الطويل من كلام الشاعر نفسه، عن تلك  
المرحلة، لأنني أحسست أنه أقدر على إيضاح صورة تلك المرحلة  
القاسية في تاريخ الوطن، وتاريخ المناضلين الذين أتى على ذكرهم،  
وسنعود إليهم .

عن هذا المستعمر اللئيم يقول نديم :

أجنبيّ، بمدحه .. نتبارى	زرع الشرّ بيننا وتواری
وجرينا مع الخيال سكارى	فقعنا عن الحياة كسالى
مائلًا جوّها حديداً ونارا	انظروا فالعدو يربض فيها

\* \* \*

أركوب الخيل يجعل منّا      سادة في ذرى النجوم كبارا  
إن خلف الستار عين فرنسا      تفخر الترك أن تجوس الديار  
ليس معنى الجهاد أن نتلاقى      في مكان وننشر الأشعارا

واضحة هي المعاني في هذه القصيدة، وواضح قصد الشاعر أن معنى النضال الحقيقي من أجل الحرية، ونيل الاستقلال، وأن النضال أو الجهاد ليس بإلقاء الشعر، ولا بركوب الخيل، وليس بالأمانى، وليس بالمباهاة بالجدود، فيخاطب الجميع ساخرًا:

وترانا ما قام فينا خطيب      نقطع الكفّ للخطيب افتخارا  
تُسكرون الأبواب نظماً ونشراً      وعجزتم أن تصنعوا مسمارا  
ألف عصماء لا تساوي رغيفاً      أم تراني أوسعت هذا احتقارا

ومع أن الشاعر لا يجيد سوى «صنع الشعر» فهو يقرُّ بأن ألف قصيدة عصماء لا تساوي رغيفاً في زمن الجوع والفقر والعوز .

وهكذا يمضي الشاعر فاضحاً الخطب الرنانة، الطنانة الجوفاء التي تذهب مع الريح والهواء، ويفضح التعصب الطائفي الذي تغذّيه فرنسا، ويدعو إلى التآلف والتآذر من أجل الوحدة الوطنية .

قيل نحن الأحرار، عفواً، ولكن      هات عبدا يعدنا أحرارا  
فرقتنا أهواؤنا ..... كلُّ حزبٍ      يحسب المسلمين غير النصارى  
وإليكم عنها حكاية صدق      تملأ النفس دهشةً واعتبارا  
كان لي في المراح والدرس تربُّ      مسلمٌ كنت تربُّه المختارا  
ورفيق من النصارى أنيسٌ      معهم النطق حجة وحوارا

أصدقاء ثلاثة، كيف كنا      نحمد المكث والسرى والجوارا  
آلف الحق بيننا فهو دين      لا نحاي فيه ولا نتهارى

وهكذا، نرى أن نديم محمد رفض الطائفية والمذهبية ودعا إلى  
الحق الذي هو دينه الذي يجلّ ويقدّس، ومن يكون دينه الحق، لا يخاف،  
ولا يهاب، ولا ينحني، وينتهي إلى القول :

بين جدراننا ثعالب مكر      فاحذروها، ثعالباً لا تجارى  
تحت أثوابنا دئاب ضوار      فاتقوها ضوارياً أن تُثارا  
فكفانا، يا قوم، عاراً وذلاً      قد شعبنا والله ذلاً وعارا  
أنا أخشى جنون قولي وأخشى      في جنوني أن أهتك الأستارا  
وصغار النفوس مهما تناهوا      في المقامات، لم يزالوا صغارا

ولكن، يبدو أنه لم يلقَ آذاناً صاغية، فيتابع نضاله على طريقته،  
ويحاول أن يُسمع مَنْ في آذانهم وقر . فيصرخ في قصيدته : «اسمعوا»  
وهي صرخة في وجوه أذنان الاستعمار كما يسميها الشاعر :

اسمعوا في صدورنا غليان      اسمعوه ... أما لكم آذان؟!  
غضبٌ ... يزحم الرجال به الدنيا      وتصدى بهدره الوديان  
فات «نيرون» حده وتعرى      غضب الشعب أنه ديّان  
وتنادى «عبيد مكة» للرجعى      وحتت لسوطها الأبدان  
اطعنوا ... مزّقوا صدوراً وأكباداً      فأنتم نابٌ ... وأنتم سنان  
قتّلوا ... ذبّحوا أبيدوا .. فإننا      لقرابينكم أضاح سمان

## المرحلة السادسة :

في عام ١٩٣٣ يتم تعيين نديم محمد بوظيفة كاتب، ويقول هو :  
«كان في البدء شيئاً وأصبحت بعد ذلك شيئاً آخر . وتدعو  
الضرورة في محكمة الصلح المختلطة في اللاذقية إلى تعيين شاب يتقن  
الفرنسية . فأعين كاتباً في دائرة الإجراء. ويدهش قاضي الصلح  
(ديتروبريان) فهو لا يحتاج في جميع قراراته إلا إلى التوقيع . وأستقيل  
لأعين بغير رضائي أميناً لسر المحافظ السيد إحسان الجابري .

ويحل محل الجابري أحد أبناء المنطقة (المحافظة)، فأرى ما أرى  
وأطلب الاستقالة فيرفض الطلب... ولكن اعتماد وظيفتي يُلغى من  
الموازنة وباب غرفتي يُغلق، بعد أن يرفع منها جهاز الهاتف، إمعاناً ب  
ماذا أسميه؟! التشفّي .

فأرسل أو قبل أشحن إلى صافيتا، ومن صافيتا أفرّ إلى بيروت  
لأسرح وأستقر أخيراً في الضيعة منصرفاً إلى الشرب والصيد والشعر.  
ويعنّ ما يعنّ لمن شاء فأعين، وبغير علم سابق مراقباً في مؤسسة (الميرة)  
فأشترط معاملة الجميع بروح القانون الحق. وطبعاً لا يكون ذلك،  
فأستقيل .

ويؤلّي الأمير مصطفى الشهابي محافظاً على اللاذقية، فيُصدر قراراً  
بتعييني مديراً لناحية (حزور) فأرد الإبلاغ بهذه الأبيات :

أجزاء صومي في شريعة مصطفى      إني على شرّ المآكل أفطر  
صبراً، فما أمري عليّ بغمّة      دول تدول، وفائز من يصبر



إني لأؤثر أن أموت ولا أرى من كنت أمره عليّ يؤمّر<sup>(٣)</sup>

ويبقى متنقلاً من وظيفة إلى أخرى، حتى عام ١٩٤٨ فيتم تعيينه مديراً لناحية (الشيخ بدر) وفي هذا العام يفقد أخاه الأصغر، ويجزن عليه حزن يعقوب على يوسف، وفي السنة التالية يمرض بالسل، يُعالج في مصحة في لبنان. وفي عام ١٩٥١ يُسرح من الوظيفة... ثم يُعاد تعيينه في بلدة (الحفة) رئيساً للمركز الثقافي، ثم خبيراً ثقافياً في وزارة الإعلام.

### المرحلة السابعة

بعد أن يترك الوظيفة ويعود إلى ضيعته، وتحديدًا عام ١٩٣٤ تجود قريحته بقصيدة إنسان مطلعها:

على ورده دمع... وفي خمرة دم..  
هو العيش أن تحوى يداك وأن يرى  
فبين كواسي النبت للدود مرتع  
خذ السيف من حديه تأمن نفاذه  
يهوّن خوض البيد عزم سلوكها  
أحب ثياباً أحكم الفقر حولها  
وإني لمر النفس حلو مسلّمي

فمالك لا ترثي.. ولا تترحم  
أهيلين بالنعمى.. فؤادك والقم  
وفوق عواري الصخر للنسر مجثم  
إلى القلب من مستأسد يتقحم  
وترجع بالإقدام برداً جهنم  
عرى الطهر لم يسلك إليها محرم  
على الناس شهد في الحياة وعلقم

القصيدة طويلة، وهي من عيون الشعر، قصيدة وجدانية تكشف عن روح الشاعر، وما يختلج فيها، ويصور حنايا النفس البشرية من فقر، من شموخ، من عزة، ومن كبرياء.

في خريف عام ١٩٣٩ يشن هتلر حاكم ألمانيا النازية حرباً،  
ويخضع أوروبا ويتجه شرقاً إلى الاتحاد السوفيتي وتكون الحرب العالمية  
الثانية . فكتب نديم محمد قصيدة بعنوان : هتلر ...

يقول الشاعر : «نظمت هذه القصيدة إبان الحرب العالمية الثانية .  
فكنت أسجل فيها الوقائع وأثرها في نفسي . وذات يوم هاجم  
الفرنسيون قريتنا ووقعت في قبضتهم، وكانت القصيدة معي فاحتلتُ  
على تمزيقها ثم بعد حين انتشلتها نتفة نتفة من أوكار حائط ...

أما عنوانها فقد جعلته (هتلر) لأننا كنا نكره الفرنسيين أقوى كره  
ونتعاطف لذلك مع من يكرههم ولو كان - هتلر -».

إذاً على قول المثل القائل «عدو عدوي صديقي» وبالمناسبة كتب  
أيضاً بدوي الجبل : (إني لأشمت بالجبار) لكنه لم يمدح هتلر .  
في تلك القصيدة أعني قصيدة هتلر نكايَةً بفرنسا وكرهاً، قام نديم  
بمدح مجرم حرب . مطلعها :

الحرب ما بعثت عيناك من صور والمجد ما خلّفت كفاك من غور  
لكن لم تصدّق نبوءة نديم، ولم ينتصر هتلر . فالجيش الأحمر  
السوفيتي يقتحم برلين ويدك الرايخ ويكسر أنياب الفاشية والنازية،  
ويرفع العلم الأحمر السوفيتي على الرايخ، ويحرّر أوروبا من أنياب هتلر  
والنازية . وعلى أثر هذا الانتصار، تنشأ منظومة البلدان الاشتراكية،

وتنال بعض بلدان العالم الثالث استقلالها، ولكن للأسف، بالمقابل،  
تُغتصب فلسطين فيكتب الشاعر بعد النكبة يقول بعنوان: يعيش  
السلطان، بعد أن أصبح السيد شكري القوتلي رئيساً للجمهورية:

هنيئاً (لشكري) عرشه وشأمه      وكرسيه العالي وصاحبه عمرو  
لئن سلخ الأتراك جلد لوائه      وغيلت فلسطين فباق له العمر

وقبيل ذلك بقليل من هذا التاريخ، أعني عام النكبة، يقول نديم:  
«واستقبلت اللاذقية أول حاكم عربي... فيما أعبد- أحلف، لو أن  
السماء انصدعت، وتنزل منها جبريل، والملا الأعلى، لما كان لهذا كله، ما  
كان لي من الفرحة... هذه هي أولى خطوات الوحدة العربية، هذا هو  
بعث القومية العربية»<sup>(6)</sup>.

لقد كان نديم محمد صادقاً، إن أقسم أم لم يُقسم، أو حلف أو لم  
يحلف، فشعره، وسلوكه، وتصرفاته تشهد على أنه كان قومياً عربياً،  
اشتراكياً، وطنياً، مخلصاً، وهذا ما سنراه لاحقاً.

### المرحلة التاسعة

بُعِد تلك المرحلة في نهاية الأربعينيات، وبُعِد الاستقلال، توالى  
الانقلابات العسكرية في سورية، وقبلها، تأسس حزب البعث. كذلك  
حزب البعث العربي الاشتراكي.

وعندما رأى الشاعر ما يجري من اضطرابات وتآمر، يقول:

أحسبتم أن البلاد استقلت      وملكتم جبالها والبحارا

انظروا فالعدو يربض فيها      مائاً جوّها حديداً ونارا  
ما نقلنا من حيث كان خطانا      وانظروا لم تزل هناك أسارى  
ما نأى المستشار حتى رأينا      واقفاً فوق رأسنا المستشارا

إنه الاستعمار الذي يخرج من الباب ليعود من النافذة ... يخرج من  
النافذة ليعود من الطاقة .

يقول الشاعر: «وأغمض المسؤولون أعينهم وأصمّوا آذانهم ...  
إلا عن سخف الأراجيف، وبرز الذين قعدوا أيام الشدة، ليقوموا في  
أول القائمين، أيام الرخاء، وليطعم الدجالون من القدر التي أوقد لها  
المخلصون أيديهم وقلوبهم .

فأطل التوجس، وتنفس الحذر .. ومن مخاضهما سنح القلق  
والتنظر، فلا ما أصدق ولا ما أكذب .. وعرف الزمن سبيله إلى مخبئه  
في نفسي .

وتوالت أحداث، وكان لا بد للأدباء أن يتحركوا بعد سكون،  
وينطلقوا بعد توقف، فهم أمانة الجيل وعليهم فيما عليهم - أن يعكسوا  
بمرايا شعورهم القومي، صور الوقائع، على أن يصدروا عن صدق  
عاطفة، تستهدف الخير والجمال، ولا تتنكر لمبادئ الفن والجمال .  
وبذلك يؤدون رسالتهم الفكرية الإنسانية تامة، وفي أحسن شكل .  
فماذا كان ؟

رأيت أكثر الشعراء المعاصرين، الذين صفق لهم الناس، على أنهم  
غنوا قضاياهم أنبل غناء ..

يذكرون كل ما يريدون ذكره، وينسون - فيما ينسون - تلك الرسالة الخالدة<sup>(٦)</sup> .

كان لابد من الاستشهاد بقول نديم محمد هذا، قبل المرحلة المقبلة، التي انخرط فيها الشاعر بكل قوة، شعرياً سياسياً، واجتماعياً .  
في تلك الأيام، أنشدَّ الشباب إلى تنظيم يجمع طاقاتهم، ويلبي طموحاتهم، وكان نديم من بينهم .  
في تلك الآونة، يطلع بقصيدة (درب العظام):

عاشت ذرى حطين	موعدنا مع «المسخ الرجيم»
عاش اللواء، غداً	نحطّم رأس غاصبه الزنيم
لبنان مفتوح الوريد	وأنف مصر على النجوم
ودمشق ... منشدة	تعود مع الصباح مع النسيم
كبّوا خيانات الملوك	إلى قرارات الجحيم
دوسوا على الدولار	شاري النذل والجاني الأثيم
حلّوا عقال الدين	من غرض المتاجر واللئيم

وهما أمران يا شاعري الرائع، لم تستطع الأمة أن تجد لهما حلاً :

١ - الدولار شاري الدم، والأنذال، والمرزقة .

٢ - عقال الدين الذي تاجروا به؛ وتاجروا به، واستغلوه حتى خربوا البلد.

نحن، في هذه الأيام بحاجة إلى حلّ عقال الدين، أكثر من يوم سطرت فيه قصيدتك .

نوّهت أعلاه أنه تمّ تأسيس حزب البعث، وكذلك العربي الاشتراكي وكانت البلاد تعاني من الانقلابات العسكرية. فقد اتصل بنديم محمد أديب الشيشكلي يدعوه إلى حزب التحرير، ويتصل به أيضاً أكرم الحوراني يدعو للانضمام إلى حزبه العربي الاشتراكي. ونديم كما رأيناه، منذ الثلاثينات من القرن العشرين، وخطابه الشعري السياسي موجّه ضد الاستعمار، وهو يُعدّ نفسه قومياً عربياً، وكما يقول أيضاً أنه اشتراكي بالفطرة. وكما هو معروف، فالمناخ السائد آنذاك قد سمح بالتعددية الحزبية، فكان حزب البعث، والحزب الشيوعي السوري، والحزب الوطني، وحزب الشعب، والعربي الاشتراكي، والحزب السوري القومي، وحزب الأخوان المسلمين، وحزب التحرير.

و لفترة وجيزة بقي الشاعر متردداً من دخول أي تنظيم، ربما لأن في أعماق الشاعر يبقى الطفل المشاغب الذي لا يستطيع الالتزام. ويكرر الاتصال أكرم الحوراني ويلجّ عليه، وبعد لأيّ يختار نديم حزب العربي الاشتراكي، الذي سرعان ما اندمج بالبعث، وتوحد الحزبان وأصبح البعث العربي الاشتراكي.

وهكذا اطمأن قلب شاعرنا لآماله وطموحاته، كما قال على مسمعي مراراً «فأولاً: أنا أو من بالبعث والرسالة الخالدة. وثانياً: عربي وأنا والله عربي. وثالثاً: اشتراكي وأنا بالفطرة اشتراكي وأحب الاشتراكية وضحت من أجلها».

## المرحلة الحادية عشرة

انتصرت ثورة تموز في مصر بقيادة الضباط الأحرار، ومن ثم تسلّم قيادة الثورة جمال عبد الناصر الذي ألهب قلوب الجماهير العربية حماسة، والحق يُقال لقد فتنَ جمال عبد الناصر الشعب العربي من المحيط إلى الخليج، واتسع المدّ القومي العربي -الوحدوي- والذي زاد من تعلّق الجماهير العربية بشخصية أسرة كشخصية جمال عبد الناصر، وما قام به من خطوات اشتراكية حقيقية مثل التأميم، تأميم قناة السويس، والإصلاح الزراعي، وتوزيع الأراضي على الفلاحين. هذا كله جعل مصر قبلة الأمة العربية، وجمال رائد العروبة، وقائدها... ونديم محمد المهياً نفسياً وقومياً واشتراكياً، والمتحمس المتفائل بالمستقبل العربي والاشتراكي، أعجب بالثورة الخضراء. فكتب:

عبد الناصر يتكلم، أو الثورة الخضراء  
يا حرُّ، لا تلبس وشاح الليل، في عرس الضياء  
و اغسل جبينك من غبار الضعف أو لون الحياء  
أنا، يوم تظمئني السماء، أعب من جرح السماء  
أنا، يوم تحرمني، أمزق من حناياها عطائي  
أنا، عنفوان السيف، أسبق للقضاء من القضاء  
أعطي - ومن خلق العروبة ذاك - درس الكبرياء  
الأسمر الدفاق يومئ لي ... ويفصح بالنداء  
إضرب .. جمال .. على الدماء ورو زرعك من سقائي  
في ذمتي للنصر ... نصر العرب ... وعد الأقوياء  
سورية الفتح المؤزر، هدر زارتها حدائي

## عرب قبست الكبر من دمهم... وعزم الأنبياء

القصيدة طويلة، اخترت فقط تلك الأبيات، والقصيدة حماسية جداً... يشيد بالأقطار العربية، ويتهدد أعداء الأمة . وينادي جمال عبد الناصر كما قرأنا .

يشيد نديم محمد بجمال عبد الناصر رائد العروبة والقومية العربية، والذي هدّد مصالح الغرب والاستعمار والإمبريالية، وشكّل خطراً على الكيان الغاصب الصهيوني، الذي احتل فلسطين وشرّد أهلها .

فتوات قصائد المديح لجمال عبد الناصر .

### المرحلة الثانية عشرة

في عام ١٩٥٥ تمّ اغتيال العقيد عدنان المالكي (\*). فكتب نديم مرثية بعنوان (أغنية الثأر):

ثأر يغنيك، لا شعر وأوزان	ألم يعلمك معنى الثأر عدنان؟
ما للضحى، لم يظهر نور غرته	بالنار... حتى الضحى، أغراه سلوان
ما للدم الحر، هوأ في مرابنا	وماله يتلهى فيه جيران
أتشعل النار في زرعي، وألقمها	سنابلي، بيدي .. إني لخوّان

---

(\* ) تم اغتيال عدنان المالكي، وكانت مؤامرة من السفارة الأميركية بالتعاون مع بعض سفارات عربية رجعية. وتم اتهام الحزب القومي الاجتماعي . وذلك لضرب الحزبين معاً، البعث والسوري القومي. كُتِبَ عن هذا الكثير، وتداعيات هذا الاغتيال قائمة حتى الآن .



غصت دمشق بهم سفحاً وراية  
جناية الغرب، تزهو بين أعيننا  
من جاء بالمسخ، لا بيت ولا وطن  
من كَبّ في جنات الأرض صبيتنا  
جزّار قبية، من أعطاه ذابحه  
من غزّ مخلبه، فينا، ومزقنا  
ثم استراحت... وغصّ اليوم لبنان  
وتحت أعطافها... ينسلّ ثعبان  
حتى أظلّته... أبيات وأوطان  
فراح يلهو بهم، جوع وحرمان  
روى بها الرب أطفال وولدان  
الله أكبر، ما للغرب... وجدان

\* \* \*

بشرى فلسطين، هذا يوم زيتتنا  
تحسّر الغيم، عن بغداد وانسفت  
أطلّ يغليه... أبناء وإخوان  
فيها إلى الشام، أطياب وأدهان

\* \* \*

هذا هو «البعث» دوى زأر غضبته  
ومغرب العرب الأحرار، مارده  
نداء عدنان، أمواج يرنحننا  
لبيك عدنان، لا سمر القنا تعبت  
في مصر فانتفضت للنجم عمّان  
مزجر، في حطام القيد غضبان  
هديرها وأعاصير ونيران  
ولا شكت من صراع الموت مُرّان

كما نرى، القصيدة طويلة، وتستأهل الوقوف عندها وتأمل ما  
جاء فيها، ليس من تهديد ووعيد وثأر، بل لنقرأ، كيف كان يفكر نديم  
عن الغرب، عن العرب، عن فلسطين، عن الوحدة العربية .

### المرحلة الثالثة عشرة

لن أقف عند مرحلة التحضير للوحدة العربية بين سورية ومصر،  
فتلك المرحلة معروفة جداً (وقد فصلتها سابقاً)...

المهم، أن الوحدة تمت بين مصر وسورية، بعد أن وافق البعثيون على حلّ حزب البعث العربي الاشتراكي، بناء على شرط جمال عبد الناصر، وكان السيد أكرم الحوراني من أكثر المتحمسين لهذه الوحدة، وهو الذي قال لجمال عبد الناصر، معجلاً إياه بقيام الوحدة: أنقذنا من خطر شيوعي داهم .

وهكذا، تمت الوحدة، وبسرعة، في عهد الوحدة صار السيد أكرم الحوراني نائباً للرئيس - رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وهو صديق لشاعرنا الحبيب نديم محمد .

فرح نديم محمد بالوحدة العربية، وهو من قبل بشّر بها، ومدح رائدها البطل القومي جمال عبد الناصر الذي فتن الجماهير العربية - فكتب نديم يقول في قصيدة (مولد المجد):

فتح - وما أزهى - ونصر وترفع - أبداً - وكبر

المجد مولوده على راياتنا ..... والدهر بكر

لبست مطارفه دمشق، وجررت برديه مصر

عرس العروبة رشّة ألقى .... وغرّد فيه عطر

أي الخواطر لم يُرنّحها من الإدلال .... سُكّر؟

في كل مسّفح رنوة، وتلفّت ..... شرف وفخر

العاشقان، الهاجران، تلاقيا .... وانزاح ستر

\* \* \*

ومشى النضال يجرُّ هدر دمائه ويُلحُّ هدر

والسّاح في وهران ... زلزلةً وترويعٌ ونكر

والشأم، الآم... وآمالٌ ..... وإيمانٌ وصبرٌ  
وشُبولٌ مصرٌ تروحُ في آجامِها .... لا تستقرُّ  
ماءُ القنّاةِ الوداعُ المئنفُ ..... يلعقُ فيه نمرُ

\* \* \*

يا أسمر الأهرام .... عصفُ خطاك، لا مهلٌ وخطرٌ  
راياتنا طولى، تلوحُ .... وخيلنا - تختالُ - شقر

\* \* \*

يا أسمر الابطال ..... والأيامُ إقبال، وَيُسِرُّ  
لي عند سمعك .... مئةُ الإصغاء، لا كرمٌ وأجرُ  
الخلدُ عُمرُ الملهمين .... وما لباقي الناس عُمرُ

في مرحلة الوحدة، كتب نديم عن لبنان . (يوم اشتعلت فيه فتنة)،  
وكتب عن فلسطين، وكتب عن الجزائر :

فوري جزائر فوري	دماً رهيب الهدير
فوري حديداً وناراً	وعنفواناً .. وثوري
ثوري - فرجسُ فرنسا	يشتاقت ... للتنوير

#### المرحلة الرابعة عشرة

لم تستمر الوحدة العربية . تم التآمر عليها من الداخل والخارج .  
وأصيب الكثيرون بخيبة أمل كبيرة، وفاجعة أيضاً .... جرّاء الأحكام

العرفية، ومن تعسّف رجال المباحث، وخنق الحريات وملاحقة اليسارين، وحلّ الأحزاب، وتم سحل الشيوعيين، حتى توصل بهم الأمر إلى تذويب جسد المناضل الكبير فرح الله الحلو بالأسيد.

باختصار: ارتكبت أخطاء جسيمة، كي ينفر العرب من الوحدة، وتحققت المؤامرة. فاختلف أكرم الحوراني مع جمال عبد الناصر، وقدم استقالته، وهو المتحمس الأول لهذه الوحدة....

وذاث يوم من أيام ١٩٥٩ يدعو أكرم الحوراني صديقه الشاعر نديم محمد إلى (صلنفة). وبقي نهاراً كاملاً يحدثه عن أخطاء جمال عبد الناصر، وعن انحراف (حكام) الوحدة، وشنائع المباحث، وانحراف الوحدة عن مبادئها.... وكيف تحوّل رائد القومية العربية، والاشتراكية جمال عبد الناصر إلى ديكتاتور، وسفّاح، وهكذا استطاع أكرم الحوراني أن يوغر صدر شاعرنا ضد جمال عبد الناصر، ويحرّضه لكتابة هجاء.... فوعده قائلاً: من غدٍ انشاء الله.

وفعلاً: كتب نديم محمد قصيدة هجائية طويلة (ديوان كامل) تحت عنوان: فرعون. وكتب المقدمة الشاعر العربي الكبير سليمان العيسى وقد نسي، ربما نسي، أن حبر قصائد المديح لم يجف بعد؛ يا أسمر الأهرام، والبطل الأسمر، الخ:

يقول نديم:

فرعون سوطك في يديك وتحت رجلك العبيد  
لم تهرم الأغلال في الأعناق  
لم تبل القيود

هرمٌ جديد للبناء

حجار مقلعه الكبود

فجر و حطم في يديك

النار تهدر والحديد

أوقف مياه النيل، ما بعد

الدم الجاري فريد

فمن الجماجم والضلوع

حصون عرشك والسدود

القصيدة طويلة جداً، وقد نشرت ضمن الأعمال الشعرية الكاملة  
وتم حذف مقدمة سليمان العيسى . ويفند نديم ويفضح كل شناعات  
المباحث، ولكن يخاطب جمال دائماً بفرعون، فرعون.. إلى أن يقول :

أمناء عرشك خمسة

كلا تعين وتستعين

لصّ وجاسوس ونخّاس

وإمعة .. و دون !

سلبوا، فلم يبقوا، بغوا..

هتكوا الخدور ولم يصونوا

لبسوا غرائب، من شكول

الصبغ، تخفى أو تبين

فرعون أبطال النفاق

سياح معقلك الحصين

سلموا، وتفديهم فلسطين

السبية ... والحجون

قلمي وقلبي، تحت رايتهم

كسيح أو طعين

وهكذا حقق نديم أمنية أكرم الحوراني، وانتشرت قصيدة  
(فرعون) في طول الوطن العربي وغربه .

### المرحلة الخامسة عشرة

وحلت كارثة الانفصال ...

فالشاعر العربي، القومي، الاشتراكي، خابت آماله دفعة واحدة .  
خاب أمله بالاشتراكية . خاب أمله بالوحدة، خاب أمله بالحرية،  
وتقوض أول مشروع حقيقي للوحدة العربية، وهلل الكثيرون  
للانفصال، ومنهم صديق شاعرنا السيد أكرم الحوراني . لكن الشاعر  
نديم محمد لم يفرح للانفصال، ولم يبتهج هذه المرة . ولم يشارك «صديقه»  
أكرم الحوراني فرحته بزوال الوحدة، وعودة الرجعية والإقطاع إلى  
ربوع سورية .

ومن جملة خيباته، خاب أمله، حتى، بالذي كان يدعوه صديقاً  
ورفيقاً الذي هو أكرم الحوراني . فكتب إليه رسالة جاء فيها :

«أهنتك لأنك حطمتني تحطيم الكأس الفارغة .... وسلختني  
عن أقربائي وأصحابي ومريدي... وأفقرتني وقتلتني، بعهدك وعهد  
حزيبتك التي سببت لي آلاماً لا تنتهي . ولم تكتفِ، بل عطّلت هوايتي  
الأدبية . ولم تصنع لي شيئاً» .

ولكي يؤكد، رسالته الأولى، يرسل له رسالة ثانية يقول فيها :  
«لقد أعطيتك - وتذكر جيداً - كلمتي ويدي على العهد بيننا، أن تمضي  
حراً في خدمة بلادنا العربية . فأكون معك، وإلى جانبك . أما العهد فأنا  
لم أخن والواجب لم انقض . ولي عندك، أن تحلني من كلمة أعطيتها  
شريفاً واسترجعها بفضل ما تقدر شريفاً . لأنني نذرت نفسي فيما تبقى  
من عمري لشعر وأدب . أرجو الله أن يوفقني فيها إلى الخير . ولقد علم  
الله والناس أن الاشتراكية - ديني ودين آبائي - عليها حيت، وفيها  
أموت .... والسلام على من اتبع الهدى» .

وهكذا انطوت صفحة، قل صفحات، وهاتان الرسالتان  
توضحان الكثير عن تلك المرحلة خاصة، عن علاقة الشاعر بالسياسي .  
علاقة المثقف بصاحب السلطة . وبالنسبة إلي، كنت أعرف، أن أكرم  
الخوراني استغل نديماً، وقد أعدّه نديم صديقاً، لكن في الحقيقة كان  
عكس ذلك .

### المرحلة السادسة عشرة

بين قصيدة «فرعون» وقصيدة «صمت الرعود» عقد كامل .  
فقصيدة فرعون كُتبت عام ١٩٥٩ وصدرت عام ١٩٦٠، وفي عام

١٩٧٠ في ٢٨ أيلول، تم اغتيال جمال عبد الناصر، فكتب نديم محمد  
مرثية طويلة بعنوان « صمت الرعود » يرثي فيها جمال عبد الناصر ....  
صمت الرعود : إلى روح الرئيس «عبد الناصر»:

يا طيوي، يا أنجمي، يا نسوري  
لن تضوعي، لن تزهرني، لن تطيري

يا نواقيس عودتي لن تضجني  
يا أعاصير جحفي لن ثوري!!  
يا دماء الفداء لن تنبتي غاراً  
على السفح ..... في غلاب المصير  
وبكت مصر، ألف كوكب نصر  
ألف مجد يغفي بحضن سرير  
وبكى نيلها العزيز، وما أسخى  
دموع المدلل .... المهجور  
وبكى الناس، فالأمان والأحلام  
غارت في صدر ليل .... حرير  
\* \* \*

مات !!! مَنْ؟! جفت الحروف من الذعر  
ماتت على فم التكبير  
لحظة ..... تعدّل الزمان وتردى



عند أقدامها عقول الدهور

كيف؟! هذا تنفس العطر في الورد

وهذا في النور لون النور

ينكر الموت نفسه حين يمشي

الموتُ في موكب الرئيس الكبير

لم يمت، من يشبُّ في كل نفسٍ

مارحٌ من أتونه المسعور

\* \* \*

كذب السمع، هل ترى يخرس الأنواء

في الجو... نافخ.... في صور

لن يموت الشموخ في جبهة الشمس

ولا العطر في شفاه الزهور

إن صمت الرعود تعرفه الصحراء

في عنفوان ليل مطير

وهم الشرق لم يمت باعثُ الشرق

وحامي... تراثه المنشور

\* \* \*

يا نبيَّ الحياة، لا يعرف الأموات

معنى البقاء والتعمير

جئت بالحق ثورة وانتصاراً

لعبة..... قيل بالصدر الغرير

وتنزلت .... للعروبة قرآناً

لسعي حُرٍ ونيل .... كثير

فعشقناك ساحراً تلمس النار

فتجري في الحر دفع ... نمير

وأطعناك قائلاً، وأطعنا

كل حرف من قولك المأثور

كان ما كان من عثار بياني

في جماح الخيال والتعبير

أشعلتني عليك غضبة إبراء

من الدّم لا هوى ... موتور

\* \* \*

أيضاً، القصيدة طويلة، مؤثرة .

وهكذا، مدح نديم محمد القائد العربي جمال عبد الناصر، وهجاه،

ثم رثاه . ولهذا كله دلالاته التاريخية، السياسية، وهذا كنت قد تناولته في

فصل ( نديم محمد وجمال عبد الناصر ).

### المرحلة السابعة عشرة

بدأ نديم محمد ينشر قصائده في الصحف والمجلات منذ

ثلاثينيات القرن الماضي، وهذا ما جعله معروفاً من بين الشعراء

السوريين، وصار يدعى إلى تأيين أناس معروفين، خاصة من رعييل الوطنيين، وديوانه (رفاق يمضون) يشهد على ذلك، وكان قريباً جداً، ويمكن القول جنباً إلى جنب مع شعراء فحول من الرعييل الأول أمثال: بدوي الجبل، أنور العطار، شفيق جبيري، جميل سلطان، بدر الدين الحامد. هؤلاء أكبر منه بقليل، وشعراء من جيله مثل: عمر أبو ريشة. ولا بد من ذكر شعراء آخرين عاصروهم، مثل: محمد البزم، وخليل مردم، خير الدين الزركلي، ووصفي قرنفلي، نزار قباني، وعبد الباسط الصوفي، عبد السلام عيون السود. بالإضافة إلى شعراء من الوطن العربي.

لقد اطلع نديم محمد، كما نوهت، على الثقافة الفرنسية، وعلى الشعر خاصة وعلى (الرومانسية) كما كان يطلع على الصحف والمجلات التي تصدر في القاهرة وفي بيروت. ولا شك أن نديماً اطلع على حركة التجديد في الشعر العربي التي بدأت في أربعينات القرن الماضي. لكنه مثل أبناء جيله بقي مشدوداً إلى شكل القصيدة الأصلية، وقارب قصيدة التفعيلة، يُعده بعض النقاد أنه كان مجدداً بعد مرحلة (آلام). وحين يذكر السياب أمامه كان يقول: أنا نقّحت ودققت «أنشودة المطر» ودفعتها إلى النشر.

ولا بد من ملاحظة، ولو سريعة «إن هناك قمماً كثيرة بين الشعراء السوريين لم ترض أن تهبط بالشعر في رأيها إلى مستوى الواقعية اللغوية، وترى أن للشعر لغته الخاصة الرفيعة التي يجب ألا تطالها أيدي العابثين. ويصدر أغلب هؤلاء من مشاعر قومية عميقة تأبى على الشعر العربي الأصيل أن يتزعزع أمام موجة المذاهب الغربية أو الشرقية».

هذا ما يقوله د. أحمد بسام ساعي ويقول من أبرز هؤلاء الشعراء: أحمد علي حسن ومحمد الفراتي وياسين الفرجاني ومحمود البارودي وعبد الرحيم الحصني وسعيد قندقجي ورفيق فاخوري وعمر يحيى وأحمد الجندي ونديم محمد وعدنان مردم بك ومحمد المجذوب ورشاد رويحة ومدحة عكاشة وضياء الدين صابوني وغيرهم<sup>(٧)</sup>.

### المرحلة الثامنة عشرة

لا يمكن الحديث عن نديم محمد، وأدب نديم محمد وشعره وإبداعه، من غير تذكر ديوانه ذائع الصيت (آلام) بأجزائه الثلاثة. و(آلام) الديوان هو الذي أتى بهذه الشهرة الواسعة، ورفع نديم محمد إلى صف الشعراء الفحول، قيل الكثير في ديوانه «آلام» وقد شُبهه (بآلام فرتر) لغوته، وقيل: لو لم يكتب نديم محمد على كثرة ما كتب سوى ديوانه (آلام) وأثر الصمت لانعطف بالشعر العربي انعطاف بوديير بالشعر الفرنسي. فثمة إجماع على هذه المسألة ففي (آلامه) أودع الشاعر نديم محمد خلاصة تجربته في الحياة، وتجربته في الصياغة التعبيرية. إن - آلام - من النشيد الأول إلى النشيد الثاني والعشرين، ذوب روح ومزق نفس، فالصدق ببعديه الفني والمضموني، لم يتفجر في تجربة شاعر تفجّره في آلام<sup>(٨)</sup>.

في الصفحة الأولى كتب نديم:

آلام

قصة امرأة... ورجل

وفي الإهداء جاء :

إلى حواء ... خطيَّتي

أنا ألبستك الحياة

وأسكنتك دار الخلود

يا حوائي

«نديم»

هل يقصد الشاعر آدم وحواء فعلاً، أم يشبّه نفسه تشبيهاً معكوساً، فالخطيئة الأولى أنزلت حواء وآدم من الخلود، وهو يقول :

« أنا ألبستك الحياة وأسكنتك دار الخلود .. يا حوائي. »!!!

بعد كل هذي السنين الطويلة، لم يعد سراً من هي تلك المرأة، ولم تعد سراً قصة (آلام) وبطلة آلام التي فجّرت عواطف الشاعر، وإن كان لنا أن نتبع مرحلة (آلام) وما قبلها، علينا أن نمّر على ثلاثة أبيات، تضيء للقارئ قصة (آلام) :

إن قيل أنك في الملامة كوكبٌ      أو قيل بيتك في الشياقائم  
لك من جمالك حليةٌ تبلى ولي      أدبٌ على مرّ الليالي دائم  
ما عابني فقري ولا زاد الغنى      أبويك إذ وجه الحوادث جاهم

فبطلة (آلام) اسمها (كوكب) فعلاً، وهي ابنة زعيم المنطقة، وربما كان نائباً في المجلس النيابي . ولكن أسرة نديم لم تكن أقل ثراء وغنى عن تلك العائلة، مع ذلك أراد متواضعاً أن يقول لها : ما عابني فقري، وجمالك بال، فإن، لا محالة، أما أدبه فخالد .

## المرحلة التاسعة عشرة

تجربة الشاعر نديم محمد غنية، وهي لا تنحصر في - آلام - فله قصائد في (فراشات وعناكب) و(ألوان) و(آفاق) وعشرات وعشرات القصائد الأخرى الوجدانية والاجتماعية، والتي عالج فيها موضوعات الفقر والحرمان والرقيق الأبيض والمومس والفلاح، جديرة بالوقوف عندها، وتستأهل الدراسات المتأنية، التي تظهر القيم الجمالية والفنية والشاعرية، وتحدد التجديد في تجربة نديم الإبداعية .

## المرحلة العشرون

كتب نديم كثيراً. وكان يحلم أن يرى المجموعات الشعرية المخطوطة، مطبوعة، وكانت تربو على المئة مخطوطة، ولا نعرف كم أتلفت اللجنة التي كُلفت بجمع آثاره، من مجموعاته التي لم ترق لهذه اللجنة . «ولكن هذا الشاعر الكبير، المناضل ، في مراحل حياته المختلفة، والذي نتلمس نضاله وشعره الثوري المتوقد في دواوينه عامة وفي ديوانه (صراخ الثأر) بصورة خاصة. هل يستحق منا ألا نقدم على دراسة شعره، ودراسة متأنية هادئة، لنضع شعره في المكان الذي يستحق، في صدارة الشعر العربي المعاصر . أم أننا ننتظر أن يصبح الشاعر من الأثرياء لينشر شعره بصورة معاصرة، مثالية، ويتجمع حوله المريدون؟

ومن الوفاء للوطن أولاً، ولأدبائنا ثانياً أن نقف مع مثل هذا الشاعر الذي قلّ مثيله في الوقت الحاضر بما ملك من شاعرية فذة فيأضة تجود علينا بالشعر إلى أيامنا التي نعيشها .»

## المرحلة الحادية والعشرون

نديم محمد : الحالم ، أطلقوا عليه : شاعر الألم والآلام . وأطلقوا عليه شاعر الكبرياء . وأطلقوا عليه : شاعر الكبرياء والخيبات . وقالوا فيه : شاعر المرارة والعذابات ...

عاش مظلوماً، ومات مظلوماً . ولم يُنصَفْ إلا بعد مماته : فبعد تسعة شهور من وفاته : أصدر السيد رئيس الجمهورية المرسوم رقم (٧٥) «يُمنح السيد نديم محمد وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى (بعد الوفاة) .... ذلك بتاريخ : ١٩٩٤/٩/٢٥» .

رحم الله نديماً.....

## إحالات

- ١ - نديم محمد الأعمال الشعرية الكاملة م-١ ص: ١٨.
- ٢ - نديم محمد من مقدمة ديوانه آفاق - المطبعة الأهلية بحماة - ٤٩، ص: ٤-٥.
- ٣ - نديم محمد الأعمال الشعرية الكاملة م-١ ص ١٩.
- ٤ - نديم محمد: ألوان ص ٥٥.
- ٥ - نديم محمد: آفاق: ص ٧.
- ٦ - نديم محمد: آفاق ص ٨ - ٩.
- ٧ - حركة الشعر الحديث في سورية . د. أحمد بسام ساعي . دار المأمون للتراث . دمشق.
- ٨ - محمد مصطفى درويش . جريدة الثورة: العدد ٦٧٩٩ تاريخ ١٩٨٥/٥/٢٥.
- ٩ - إسماعيل مروة . جريدة الثورة: العدد: ٨١١٦ . تاريخ: ١٩٨٩/١١/٢٦.



**نديم محمد**  
**فراشات فوق عناكب الألم**  
**البوح الصارخ الدال على الثقة المطلقة**

د. إسماعيل مروة

من جبلة (عين شقاق) انبجست شقائق النعمان التي حملت نكهة مغايرة في الشعر والحياة والاعتقاد... وُلِدَ نديم محمد كما دوّن في أشعاره عام ١٩٠٩ في مدينة جبلة بلدة عين شقاق.. لأسرة ميسورة من ناحيتي الأب والأم معاً، فعرف جمال الحياة ونعيمها، وتلقى تعليمه الأول في الكتاتيب علي أيدي المشايخ، ثم تلقى التعليم العام في العنازة والغرير في اللاذقية، واللايبك في بيروت.

وبعد ذلك ارتحل إلى مونيبييه في فرنسا وحصل على الثانوية والإجازة في الأدب الفرنسي، وحطت به الرحال في سويسرا لدراسة الحقوق، لكنه يعود لأسباب قاهرة.. ينتقل في وظائف عدة ويستقيل ويعود إلى أن يعتكف حتى وفاته في ١٧ / كانون الثاني ١٩٩٤.

**رفيق الألم والحزن :**

لم يرافق الألم والحزن شاعراً كما رافق نديم محمد، ولذلك وصف لدى النقاد بأنه شاعر الوجدان، وأدرك الشاعر بحسّه الكبير هذا

فسمي دواوينه أسماء تدل عليه في كل فاصلة : آلام، رفاق يمضون،  
فراشات وعناكب، آفاق، ورود وخريف، من خيال الماضي .

عناوين عديدة اختارها نديم محمد لأعماله، وكلها تستقي  
مشروعيتها من قصائده وأبياتها الصادرة عن فؤاد لا يعرف سوى  
الصدق والتصالح مع الذات، وربما كانت آلام نديم محمد صادرة عن  
أمور صرّح بها في شعره حيناً ولم يصرّح في أغلب الأحيان :

- تصالحه التام مع الذات وعدم مقدرته أن ينسجم مع أي نوع من  
النفاق الاجتماعي.
- موقفه من العقيدة، ورغبته الشديدة في أن يحيا ويفكر بحرية تامة.
- نبذه المبكر لكل مظاهر الفساد والرشوة والوساطة المتفشية في  
المجتمع.
- حرصه على الحق، وأن يوضع هذا الحق في نصابه ولصالح  
الإنسان الذي يستحقه .
- رحيل أحبته من أصدقاء وأهل إخوة أمام ناظريه وهو غير قادر  
على فعل شيء.

### نديم محمد ظاهرة إنسانية:

ما من موضوع شعري طرقة نديم محمد، إلا وكان تناوله له  
بخصوصية لا يقترب منها أحد، فهو يرثي الصديق بقصيدة تفيض ألماً  
ودماً مكتفياً بحروف اسم الصديق دون أن يكون رثاؤه تمجيداً موجهاً  
لشخص محدد كما تعودنا في قصائد الرثاء والتأبين في شعرنا، وهذه  
القصيدة تمثل قمة الألم الإنساني لافتقاد الحبيب الصديق، وتصلح لأن  
تكون قصيدة أي أحد بأي أحد من الأحبة .

وهو عندما يشكو من فساد أو ظاهرة مجتمعية تراه وكأنها يتحدث إلينا، أو يتحدث إلى غيرنا في بلاد أخرى، ذلك لأنه تناول الظاهرة، ولم يتناول الأشخاص، شخّص الداء وحدد الدواء المناسب له .

وأشعاره في الإيمان والاعتقاد تدرج تحت الباب نفسه، فأنت أمام شاعر عالمي يتحدث بما يعتمل في نفوس الناس في كل مكان وعلى أي أرض، والفرق بينه وبين غيره أنه عبّر وغيره جبن عن التعبير، فدفع الثمن غالياً وغيره أثر سلامة الإياب .

### نديم محمد وهموم الناس :

من قرأ نديم محمد لا يمكن أن يتخيل أن أشعاره صادرة عن إنسان عاش نعيم الحياة، فقد تعودنا على الدوام أن من يعيش الرغد في حياته لا ينظر إلى الآخرين مطلقاً، ولا يشعر بأحاسيسهم، وإن لامس همومهم فإن ملامسته لا تتجاوز المواساة والمجاملة، لكن نديماً الذي تقلّب في نعيم الأبوين وأسرتيهما، ونعم بالتعليم في وقت كان من الصعوبة على الإنسان أن يتعلّم، وأن يسافر في طلب العلم خارج سورية وخارج الوطن العربي، خرج عن القاعدة، فتحدث عن الفقر والفقراء، والفلاح والأرض، والضعف والمستضعفين، وكان حديثه في كل موضوعاته حديث المكتوي بالنار، حديث المشارك في كل الأحاسيس، بل إن نديم محمد شاركهم هذه الحياة بالفعل عندما اعتكف وحده مؤثراً ألا يكون إلا للبلد التي أنجبته، وعاش حياة الحرمان وقد أثرها على كل شيء سواها، ولو استعرضنا أشعار نديم محمد سنجد كما هائلاً من الشعر المعبر الذي لم يترك فيه همماً من هموم الناس إلا وكتبه .

## نديم محمد الصريح إلى درجة الألم :

يتميز نديم محمد عن غيره بالابتعاد عن الادّعاء، وبالوضوح الذي قد لا يصرّح به سواه، ففي هوامش قصائده، وفي نشره يبوح الشاعر بأشياء صارخة تدل دلالة قاطعة على ثقته المطلقة بنفسه وشعره فيقول: قبل أن ألقى انسحب الجمهور وبقيت ألقى لأصحابي، ويقول: كدت أقتل، ويعترف بمخالفته الأعراف وأساليب التفكير السائدة في مجتمعه.

## نديم محمد والأمور الشائكة :

نديم محمد من الشعراء المميزين الذين آثروا أن ينغمسوا في قضايا الناس وقضايا المجتمع، الاجتماعية منها الفكرية، ولم يكتفِ بملامسة هذه القضايا، بل غاص في عمقها وصورها وانتقدتها، وبذلك دخل نديم محمد في المناطق الشائكة والمحظورة، والتي سببت له المتاعب الكبيرة، سواء على صعيد الأفراد أو على صعيد المؤسسات أو على مستوى الشخصيات المهمة التي جمعتها المصادفات مع نديم محمد. ولأن القضايا الشائكة خصيصة من خصائص مجتمعاتنا فإننا مضطرون للانتقاد الذي يراه بعضهم انتقاصاً، وعندما عبّر عن الجمال وإعجابه به قال :

لقد زعموا بأن لنا إلهاً      ألا إن الجمال هو الإله

فقل للزاعمين : برئت منهم      فإني لم أجد ربّاً سواه

وفي تعقيبه على هذين البيتين يقول: (كاد هذان البيتان يقضيان عليّ، فقد حكم رؤوس المشايخ بذبحي، ونجاتي كان سببها صغر سني

وهربي، كنت لم أبلغ الثالثة عشرة، فأنا في الحقيقة من مواليد ١٩٠٩ في شهر تشرين الثاني)

وهذان البيتان نشرهما نديم محمد عام ١٩٢١، وفي بيتين آخرين يتحدث عن مفهوم الدولة قائلاً:

دعونا دولة لا نكر فيها مسجلة بصك الاعتبار  
لنا منها اسمها، ولهم سواه وأين من الفخار مُنى الفخار؟!

وهذان البيتان قالهما عام ١٩٣٥ عندما كانت سورية تحت سلطة الانتداب الفرنسي، وهنا من حقنا أن نتساءل عن الكيفية التي قوبل بها نديم محمد من السلطات الإشكالية، وضع نديم محمد نفسه في هذه المناطق مع أنه كان في غنى عنها، لكنه الشاعر الملهم المؤمن برسالته الشعرية، لذلك أثر أن يتحدث وإن سبب له كلامه الإشكالات غير مكترث بأي شيء.

### نديم محمد والمسؤولية :

لم يعرف الناس الكثير من شعر نديم محمد لأسباب عديدة، لعل من أهمها أن قصائده تتسم بالوضوح والصرامة، وقد لا يستطيع معدو البرامج التعليمية اختيار هذه القصائد للتدريس، ولكن الأهم أن هذه القصائد كان من الممكن أن تكون مدار بحث في أقسام الآداب، لكن نديم محمد لم يحظَ بالعناية الكافية في المناهج... ومن الأسباب الأخرى أن شعر نديم محمد الوجداني ليس شعراً عادياً في طروحاته وعمقه ومباشرته ولننظر إلى قصيدته حاكم :

يا موصلد الباب على نفسه تشبهاً في الحكم بالأعجمي

هيهات بحجم العز لا ترتقى      أسبابه من بابك المحكم  
لا تدع الإسلام زوراً فما      أنت، معاذ الله، بالمسلم  
علامة المسلم أن لا ترى      إلا الرضى من يده والفم  
وهذه القصيدة من أشعاره عام ١٩٤٧ .

### نديم محمد والحلم العربي :

نصف قرن عاشه نديم محمد وهو يرى أمامه الواقع المتردي،  
ويطمح إلى أن يرى أمامه بارقة أمل، وعندما وقع العدوان الثلاثي على  
مصر واستطاعت مصر أن تنتصر على خصومها الدول الثلاث بفضل  
تمسك شعبها وتآزر العرب، وليس من باب المصادفة أن يكون أكبر  
شهداء العرب في العدوان الثلاثي من الساحل السوري (جول جمال)  
ويكون الشاعر المهور بالحلم العربي القومي من جبلة (نديم محمد)  
وتخليداً لصدود مصر يقول على لسان جمال عبد الناصر :

قلمتُ من طغيان هذا

الغرب ظفرَ الادّعاء

وخنقت في حلقومه

السكران، ضحك الازدراء

أحنيت رأس البغي حتى

صكّ جبهته حدائي

وبعثت في جبار لندن

صحوه بعد انتشاء

أمشي إلى حقي وأمشي  
لا أبالي بالعياء  
إني خطوت وما تعودت  
الرجوع إلى الوراء  
في ذمتي للنصر نصر  
العرب... وعد الأقوياء

ولثورة الجزائر نصيب في شعر نديم محمد، إذ يقول:

فوري جزائر فوري  
دماً رهيب الهدير  
فوري حديداً وناراً  
وعنفواناً وثوري  
فاسقي عطاش الضحايا  
من الدم المهدور  
لا ينبع العطر إلاّ  
من برعم ممطور

وتحت عنوان حرية العربي ينظم نديم محمد قصيدة من أجمل

قصائده:

شرف العروبة والجدود  
و العز في خفق البنود  
في جحفل بالنار يعصف

جانباہ وبالحدید  
ما ہمنی عصف الریاح  
إذا عزمت علی الصعود  
حریة العربی أبقی  
فی الوجود من الوجود

### الحب والوجدان

حبی ویحری فی دمی خمیر  
فإذا تعثر خطوه بخیالہ  
معتقة یدیر کؤوسہا شعر الندیم  
فبحق عینک یا ملیحہ لا تلومی  
أجمیلتی ہاتی من الثمر الذی  
أجمیلتی قلبی إلیک إلی کریم  
أوصی بہ الرحمن ذو العرش العظیم  
خباک یسط کف محروم نہیم

یتسم نذیم محمد فی حبه ووجدانه بالعمق والوضوح فی آن واحد،  
فہو رجل أحب الدنیا کما یجب أن تُحب، وقدم نفسه التواقہ للحب  
والجمال ہدیة لہذہ الدنیا الملیئة بما یسرّ نفسه، والأبیات التی قدمنا ہما  
تشر إلی مذهب الشاعر بما لا یقبل التأویل، خاصة إذا علمنا أن الشاعر  
نظم ہذہ الأبیات عام ۱۹۸۸ فی مرحلة متأخرة من حیاته الملیئة  
بالأحداث، الزاخرة بالمرأة والحب فی کل محطة من محطات حیاته.

وقصیدتہ سؤال وجواب تجیب عن آی سؤال یمکن أن یتبادر إلی

الذہن :

سألتنی عن أمیر الحب عن قلبی وللأسخر علی الوجه لثام



وتندت شفتها وتلقاني      وما أندى على حري ابتسام  
قلتُ والذكرى لها في      ملعب الخاطر فرّ واقتحام  
كان لي يا حلوتي قلب من الطير      جناحاه، شباب وغرام  
عاش يا حلوة في ظلها شعر      هو الخمر، حلال وحرام

وفي هذه القصيدة نجد نديم محمد يقول : لفارقت شبيبي موجه  
القلب باكياً، ويقول : ألا ليت الشباب يعود يوماً .

نعم (لقد كان هاجس الشاعر دائماً أن يرى حياة الناس... كل  
الناس قصيدة خضراء، مفعمة بالحب والخير والجمال) .

### نديم محمد والتكريم

عانى شاعرنا الكبير الملهم نديم محمد كثيراً، وتقلّب بين الغنى  
وضده، والتنقل والعزلة، والصخب والوحدة، لكنه عانى أكثر ما عانى  
من النقاد والمثقفين الذين عملوا على إهمال شعره وتغييبه، على الرغم  
من أن نديم محمد كما رأينا لم يطرق موضوعاً واحداً، ولعل موضوع  
القومية العربية في حياته أهم ما يمكن أن نحتاجه في المرحلة التي  
عاشها الشاعر، وقد تناول نديم محمد القومية كما لم يتناولها سواه.. لكن  
شاعرنا الكبير امتدت إليه يد الحنان من الرئيس الراحل حافظ الأسد،  
فأولاه عناية فائقة، خاصة في مرضه الأخير، ووجه إلى طبع أعماله  
الشعرية الكاملة التي صدرت عن وزارة الإعلام السورية في خمسة  
مجلدات ضخمة ورائعة الإخراج والطباعة، وما ينقصها التوزيع  
التجاري لتكون أشعار نديم محمد في متناول الدارسين والمحبين .

وكانت قمة التكريم بمنح رئيس الجمهورية الشاعر وسام  
الاستحقاق بعد الوفاة .

## الأم

يا رفة العبير في الورود  
يا شعر يا أول ما غنت  
أمي وأين الكوثر الموعود  
يا مهجة سخية من ذوبها  
أمي وفي نذائها تراوح  
في حضنها تغفو جراحاتي على  
وبين زنديها وما أدنى  
من غيرها تورق عيناه  
الأم ياخالقة الأبطال  
يا سبحة الصلاة للمعبود  
بصافي لحنه حنجرة الوليد  
من حنانها المسلسل المورود  
يجري دم الحياة في وريدي  
الأجراس في هياكل الكبود  
وجيب قلب، طاهر سعيد  
إذا ضاع وجودي ملتمى وجودي  
لتندی منها قساوة الجلمود؟  
والفداء للنضال والخلود

## شهادة : حارس الحزن الجسور

قدّم التلفزيون العربي السوري فيلماً وثائقياً عن الشاعر نديم محمد  
من إعداد وتقديم الأستاذ حسين عبد الكريم وإخراج حميد حويج،  
وقد كان الأستاذ عبد الكريم قريباً من الشاعر نديم محمد، وعن الشاعر  
كانت له هذه الكلمات :

« نديم محمد أحد حراس الأحران الجسورين في الإبقاء على قناعاتهم تجاه الوطن والمرأة التي هي وطن .. وقد جعل من الألم سيداً يتلاقى مع الحب وهذه الأطياف عاشها في سلوكه اليومي كما عاشها أثناء القصيدة.

علاقته بزوجه التي لم تنجب، والتي تزوجها إثر حالة اجتماعية لم يكن يريد لها، تمثل حالة وفائية مثلت صدقه مع قناعاته ... وكذلك تنظر إلى وفائه مع ربيته نهلة التي ملكها بيتاً لم يكن يملك سواه في حياته .

عرفته من علاقة الجوار... ورأيت جيرانه يرون فيه الحضور المختلف والمهابة النبيلة، وعلى الرغم من أنهم لا يقرؤون ولا يكتبون يحفظون شعره الإخواني ما يؤكد حضوره الأسر في محيطه».

حسين عبد الكريم

الشاعر الذي أغمض عينيه على تكريم الرئيس حافظ الأسد :

الجمهورية العربية السورية

المرسوم رقم /٧٥/

رئيس الجمهورية

بناء على أحكام المرسوم رقم - ١٤٠٣ - تاريخ ١١/٥/١٩٥٥

المتضمن نظام منح وسام الاستحقاق السوري

برسم ما يلي:

المادة الأولى : يمنح السيد نديم محمد وسام الاستحقاق السوري  
من الدرجة الأولى ( بعد الوفاة ).

المادة الثانية : ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق ١٩٩٤/٩/٢٥

١٤١٥/٤/٢٠ هـ

رئيس الجمهورية

حافظ الاسد

\* \* \*

### متعة التدوق

هل تختلف سمات الشاعر عن سمات الشعر؟

عندما تفخر أي أمة بشعرائها المعاصرين فلا بد للعربية من أن تذكر بكثير من التبجيل والافتخار شاعرها الفذ نديم محمد، وإن كانت كل أمة تبني نصباً للخالدين في أديها فمن حق شاعرنا الكبير نديم محمد أن يكون من أول من تبني لهم النصب لما له من شعر في ذكر هذه الأمة وأحداثها الجسام، وإن كان نديم محمد لم يلق إلى يومنا هذا العناية الكافية التي تليق بمكانته وشاعريته فإن ذلك لا يعني على الإطلاق، أن الأيام ستنسى اسمه، فنديم محمد ارتبط اسمه بكل حدث جميل وبكل حدث مؤلم في تاريخنا المعاصر، وأنى للأيام أن تنسى ... منذ أعوام كنت قد قرأت حديثاً شيقاً أجراه معه الأستاذ هاني الخير في سلسلة يحدثونك عن أنفسهم، ذلك الحديث الذي أظهر كثيراً من نفسية نديم محمد وخصائص شخصيته، لكن الأمر توقف عند هذا الحد، ففي الوقت

الذي وجدنا من يعد رسائل جامعية في البلدان العربية والتي تتناول حياة وشعر بعض الشعراء المعاصرين، وجدنا عن ذلك أحجاماً في جامعاتنا وإلى وقتنا الحاضر لم تظهر دراسة مستقلة في شعر هذا الشاعر الذي أثر العزلة والجلوس في بيته، أو أثرته الوحدة والعزلة بعد أن وصل إلى هذه المرحلة من العمر - أطل الله بقاءه - .

وفي جلسة من جلسات الأدب المعتادة أخذ الأستاذ مدحة عكاش يحدثنا عن نديم محمد وذكرياته ودواوينه الأولى . ومن بينها استوقفني ديوانه الجميل ( رفاق يمضون ) استوقفني عنوانه، واستوقفني قصائده التي نظمها في فتراته الأولى . في مرحلة الشباب .

هذا الديوان تألف من ( ١٢٨ ) صفحة من القطع المتوسط واحتوى ( ١٦ ) قصيدة نابضة بالحب والوفاء لأصدقائه الذين مضوا عن هذه الحياة الدنيا، بصمت أحياناً وبغيره في أحيان أخرى، لكن الشاعر في ديوانه جعلهم سواسية من الإهداء إلى آخر بيت شعري . فلم يذكر اسم واحد منهم . ولم يفضل أحدهم فبدأ ديوانه بقوله : إليهم إلى رفاقي الذين مضوا ...

وإذا ما عرضنا لقصائد الديوان نجد تلك الروح الوفية المخلصة عند شاعرنا. والتي قلما يتمتع أبناء مهنة الأدب، لما تحمله النفس من غايات وأمور أخرى. ففي القصيدة الأولى يتحدث عن أحد أصدقائه، ومن خلالها تلمح مقدار ما تمتع به هذا الصديق من مكانة في قلب شاعرنا المحب :

همنا أن نموت في الخمر والسحر ولوموا يا أيها الأحياء

لا وعينيك ما غدرت ولا خنت      ولا مر في ظنوني جفاء  
فاغمس العتب في جراحي وقل هات      رثاء يهزك مني الرثاء  
فهو الصديق الذي لا يغدر ولا يخون ولا يعرف الجفاء، هو  
الصديق الذي يسمع عتاب صديقه ولو كان بينهما جندل وصفائح على  
حد تعبير توبة بن الحمير .

وهو إن بكى أحداً فإنه لا يبكي إنساناً لا يستحق دمعاته، وأبياته  
الشعرية، واسمع إليه عندما يرثي أحد رجال الوطنية الذين أسهموا في  
صياغة الدستور .

إيه زين الشباب، هل عبث القبور      ومن ظن ..! بالشباب النضير  
كذب القبر أنت في كل صدر      نهدات من كبرياء الضمير  
كذب الموت أنت أبقى من الموت      جلالاً وعزة في الدهور  
لست أبكيك بالدموع وما أغلى      ولكن أبكيك ذوب شعوري

إن السمات التي حملها رثاء نديم محمد تختلف كثيراً عن السمات  
التي يتحلّى بها شعر غيره من الشعراء في باب الرثاء فهو لا يرثي شخصاً  
أبداً، وإنما يرثي أمة في شخص رجل ويرثي موقعاً كان يحتله هذا المرء .  
ولو حاولنا تلمس هذه السمات فإننا نستطيع أن نعثر على أكبرها  
دون أدنى عناء إنها الوفاء، الوفاء للأصدقاء والأصحاب، والوطن .  
وهو إن لم يذكر الشخص باسمه فلائنه لا يريد من ذلك حمداً ولا  
شكوراً..

ولكن هذا الشاعر الكبير، المناضل في مراحل حياته المختلفة  
والذي نتلمس نضاله وشعوره الثوري المتوقد في دواوينه عامة وفي

ديوانه (صراخ الثأر) بصورة خاصة، هل يستحق منا ألا نقدم على دراسة شعره دراسة متأنية هادئة، لنضع شعره في المكان الذي يستحق: في صدارة الشعر العربي المعاصر، أم أننا ننتظر أن يصبح الشاعر من الأثرياء، ينشر شعره بصورة معاصرة مثالية، ويتجمع حوله المريدون؟ ومن الوفاء للوطن أولاً ولأدبنا ثانياً أن نقف مع مثل هذا الشاعر الذي قلَّ مثيله في وقتنا الحاضر بما ملك من شاعرية فذة فياضة تجود علينا بالشعر إلى أيامنا التي نعيشها .

وكل هذا يمكن تجاوزه إذا ما وقفنا عند قضية من أهم القضايا وهي قضية المناهج الدراسية، فإننا لا نجد مختارات صالحة من شعر نديم محمد في مناهجنا على الرغم من أن من يضع المناهج تتلمذ على شعر نديم أو أنه عاش معه جزءاً من حياته ونضاله فكيف يكون هذا؟ ففي المناهج القديمة اختاروا قصيدة الفلاح، وفي المناهج الحديثة اختاروا قصيدة في الوحدة غير المترابطة الأجزاء. تسيء لشعره أكثر مما تحسن، مع العلم أن الشاعر أنشد قصائد نارية في الوطن وحب الوطن والإخلاص له فلماذا..؟

\* \* \*

### نديم محمد والوجه الثائر

درجت جريدة اتحاد الكتاب العرب بدمشق الأسبوع الأدبي على عادة محمودة وهي الملف الشهري الذي يخصص لدراسة أديب يعيش بيننا، أو دراسة وجه من وجوهه وذلك من قبيل التكريم له ولأدبه ومن هذه الملفات القيمة التي نشرت في الجريدة الملف الخاص بالشاعر

العربي الكبير نديم محمد ذلك الغريد الصامت الذي يعيش عزلته الطوعية بعيداً عن الأضواء مكتفياً بآلامه العديدة التي تملأ عليه جنبات المكان كفراشات وعناكب في بيت مهجور لا يعرف ساكناً، وليس هناك من اعتراض على هذا الملف، ولا على الموضوعات القيمة التي نشرت فيه وقد كتبها أقلام مختصة ناقدة، لكن ما لفت انتباهي في هذا الملف هو أن الدراسات جميعها ركزت على المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر مرحلة الآلام والعزلة والرومانسية ضاربة عرض الحائط بشعر نديم محمد في مرحلته الأولى، وفي هذه المرحلة غنى لا نظير له في حياة شعرائنا المعاصرين، وشاعرنا كغيره من الشعراء الذين عاشوا الثلث الأول من القرن العشرين بتقلباته وتذبذباته المتعددة فأين هذه المرحلة المشرقة في حياة نديم محمد في ملف الأسبوع الأدبي؟ من الأسف أننا لا نجدها مع العلم أن كل من كتب فيه قد اطلع على شعر نديم السابق ودرسه في مرحلة من مراحلها، وفي جريدة الثورة في زاوية سابقة كنت قد تحدثت عن هذه المرحلة في موضوع «سمات الشعر» وأشارت إلى شعره الثائر وفي هذه الزاوية أعود لأركز الانتباه في هذا المجال الذي كاد الناس أن ينسوه ولا اعتراض لي في ذلك، فالعزلة التي فرضها نديم محمد الشاعر العظيم على نفسه وشعره جعلت منه مضرب المثل في البؤس والألم. لكن السؤال الملح علينا هل فرض نديم محمد على نفسه العزلة من لا شيء؟ أم أنه جرّب وعاش وتلوّن حسب المرحلة التي عاشها ووصل إلى قناعة ما في طريقة العيش التي أخذها لنفسه؟

ونشر شاعرنا مجموعة أشعاره بدافع من أصدقائه الخالص الذين أحبوه وأحبوا شعره وأخلصوا في حبهم، وقليلاً ما نجدهم في زماننا هذا، لكن المرحلة اللاحقة في حياة الشاعر والإخفاقات المتوالية التي



مُنِي بها على كافة الصُّعد الاجتماعية والسياسية والنفسية جعلت منه إنساناً منعزلاً مبتعداً عن الأضواء التي أصبحت لا تمثل بالنسبة له إلا بقايا المكر والدهاء والخداع، فنديم محمد لم يختر العزلة لضعف في نفسه وروحه، ولم يخترها ليخلص إليها بعد فشل في التأقلم، لكن روحه الثائرة المتمردة التي رفضت كل شيء مألوف جعلته يقتنع بأن يجلس إلى روحه وحسب، وفيها وجد ملاذه الحقيقي ويجب أن ننوّه بأن الشاعر لم تنضب شاعريته عند هذا الحد، وإنما مازال فياضاً بشعره العذب، لكن طبيعة المرحلة الزمنية مالت بهذا الشعر صوب الحزن والألم وحق له أن يفعل ذلك . فالشاعر الذي عاش نجاحات الأمة ونكباتها وشارك في معظمها مناضلاً عنيداً والدليل على ذلك مجموعة أشعاره التي نشرت في ديوانيه اللذين صدرا في أوائل السبعينيات وما زالت نسخهما موجودة في الأسواق ولم يشر إليهما في الملف وهما « صراخ الثأر » و« رفاق يمضون ». ومن يستعرض هذين الديوانين سيجد روح الشاعر الثائرة التي لم تكن لتركن إلى الضعف والرومانسية على الرغم مما فيها من رومانسية وشفافية مفرطة في بعض القصائد والمقطوعات . ففي كل قصيدة قالها الشاعر في أصدقائه الذين رحلوا في رفاق يمضون نجد سيرة الأمة ونكباتها، ونجد الثورة العارمة والغضب الجارف الذي يتحلى به الشاعر دون غيره من الشعراء في تلك المرحلة، وفي كل قصيدة نجد ذات الشاعر محمومة في كل فاصلة، فهو يعني رفاقاً مضوا ويعني الأمة ويعني نفسه .. ولو أمعنا النظر نجد أن الشاعر في كل قصيدة من تلك القصائد موجود وجوداً راسخاً وقوياً والسبب في ذلك أنه معاصر معاصر يملك الروح الثائرة نفسها لكن القدر أخطأه . فقد كان من الممكن أن يكون الفقيد لكن الزمن اختار رفيقه وبقي هو لبيكيه

بقصيدة لا مكان للدموع فيها، ولو قلبنا الديوان إلى نهايته لن نجد الدموع على الفقيد، مما يؤكد أن الشاعر كان يبكي الأمة ولا يبكي فرداً. وكان يتحدث عن مناضلي مرحلة - وهو واحد منهم - وليس عن فرد، وقد تماهى الفرد عند الشاعر إلى درجة الذوبان الكامل في كل قصيدة، وهذا الأمر لا يمكن أن يصدر عن شاعر عشق الألم والبكاء والرومانسية في تلك المرحلة، فالشاعر كان ثائراً إلى درجة بعيدة متفاعلاً غير منعزل، ومن الظلم أن نترك شعره الثائر ذلك متناسين الماضي الذي عاشه شاعرنا فأبدع فيه أيما إبداع .

و في ديوانه صراخ الثائر نجد ذات الشاعر قد انسلخت عن كيانه لتعيش مع الأمة في نكباتها وويلاتها، فأبي شاعر هذا الذي رفض الخلود لنفسه وأراده لأمته وشعبه؟! وحتى في غزلياته التي كانت كالكلف في وجه الصبوح في ديوانه المذكور كان غزلاً رقيقاً متيماً محباً إلى أبعد الدرجات ولم يكن ذليلاً خاضعاً وهو في أقصى درجات الحب والهيام .

وبعدها تأكد للشاعر أن كل ما زرعه وكل ما فعله من أجل أمته لم يجد نفعاً وهو الفرد . فانقلبت ثورته إلى داخله وأراد لهذه الثورة أن تكويه بنارها، أن تكويه وحده. وآثر لأمته البقاء والخلود، فأخذ يحرق نفسه في معبده المقدس الذي تنتشر منه رائحة العبق الشعري لشاعر عاش ولا يزال من أجل المبادئ التي آمن بها، وسيبقى يمنح شعره مزيداً من الألق سواء أكان ثائراً أم رومانسياً، ويبقى شعر نديم محمد كما ذكرت سابقاً بحاجة إلى دارسٍ مخلص، إلى دارس أكاديمي يخلص لهذا الشاعر ولهذه الأمة كما أخلص الشاعر نفسه ليعطيه حقه ويضعه في مصاف الكبار من شعراء العروبة الأفاذا .

# مختارات

# شعرية

اختيار  
خلود أحمد رسول



لا تقولي .. خدعته عن مرادي  
إنَّ لي ناظراً يرى الوهم في النَّفس  
فإذا أطبقت على الشوكِ أجناني  
من بريقٍ في مقلتيك، مريعٍ  
ورجاءٍ حيرانَ ملء ذراعيك  
وجموحٍ مقنَّعٍ .. واشتهاءٍ  
وشعورٍ طاغٍ يُدمدمُ كالأنواء  
ورغابٍ سواعرٍ .. كالمنايا  
وغيوبٍ من كل لونٍ أسرارٍ  
شهواتٍ عواصفٍ تنزى  
وتشائين أن تُرْفِي على الغيمِ  
كجناحِ السَّنا يحوم على الطَّينِ  
كلَّ حُسنٍ هوىً جديداً ولحنٌ  
لستُ أنثى ولستُ شيئاً من  
اسمعي ما تقولُ جُهمِ الروابي

بابتسامي .. ومنطقي المعسولِ  
وقلباً .. يحسُّ خَلَجَ الميولِ  
فضناً، بألفِ سرٍّ ... جميلِ  
واتنفاضٍ على لَمَاكٍ .. مهولِ  
وشوقٍ .. مُمنَّعٍ .. مكبولِ  
خلفَ عينيكَ .. أعزَلِ مشلولِ  
في صدركِ المشوقِ .. الملولِ  
وأمانِ جوارفٍ .. كالسيولِ  
فِؤادٍ .. مُحَيَّرٍ .. مشغولِ  
في صحاري مُرامِكِ المجهولِ  
وقد تختفين .. بين الطلولِ  
التماساً .. والمورد السلسبيلِ  
سائغٌ .. في فؤادك المتبولِ  
النَّاسِ ولكنَّ وَهْمٌ سرى في العقولِ  
عن سُهادي .. وكالحاتِ التَّلولِ

أم حميمٌ .. مستقطرٌ من وُحولٍ ؟  
وراءَ الجبالِ .. أمٌ شِدْقُ غولٍ ؟  
شهيقاً .. مفجراً من غليلي  
عُثورٌ .. ملفّعٌ .. بالذحولِ  
ودموعٍ تسيلُ كلَّ مَسيلِ  
رشاشِ الدماءِ ملءَ عويلي  
وألقاكِ في خشوعِ الذليلِ  
وجوعي .. ولهفَ قلبي العليلِ  
من الحومِ في مداهُ البليلِ  
على النفسِ منزلَ التحليلِ  
في رحابِ الفضاءِ قرعِ الطبولِ  
دَفقاتٍ على الرُّبى والسُّهولِ  
على كلِّ مفرقٍ .. وسبيلِ  
فَتدوي الأرجاءُ .. بالتهليلِ  
دموعي .. في نشوةِ التَّقْبِيلِ  
ويسري في الأرضِ نعيُّ قَتيلِ

أرسوبٌ .. مصصتٌ منه شرابي  
وصخورٌ عُبرٌ جِدادٌ توَسَّدتُ  
أنا صوتُ القبورِ يُرجعني الليلُ  
حائرٌ كالضلالِ هائمةٌ رُوحِي  
فاتركيني لعارِ شهقٍ مريِرِ  
وعويلٍ دامٍ .. فهلاً تلمَّستِ  
عَبثاً تشتكي لعينيكِ عيناِي  
ذدتُ عن مرتعِ الهناءِ لُباناتِي  
ومنعتُ المنى ظمءَ المناقيرِ  
وتقدَّستُ في الغرامِ فحرَّمتُ  
في غدٍ تصهّلُ المهارةُ وينأى  
والزغاريدُ .. كالسِّنا تتوالى  
والعذارى .. ضواحكُ يتغنينَ  
وتلوحين فوق هودجكِ العالي  
في غدٍ تلتقي الشِّفاهِ وتنسينَ  
وغداً يسمعون في الجوّ آهاتِ

\* \* \*

أمهروك الطيوب والحلل الزهر  
وأعدوا لك الخمائل والقصر  
وأسروا الوعود عطرأ وأضواء  
شرك مذهب الحواشي خلوب  
شرك للمنى الفواجر والحلم  
فخذي من جنى الحياة وأعطي  
إنما تلمع العيون بنهديك  
يا لها سكرة .. ويا لك سكرى  
فاقطني الزهو من رباع الثريا  
فغداً تسكت الأغاني وتدوي  
وتعصين بالبنان .. وتشنين  
يوم كان الهوى .. غداً ورياً  
وعقوداً من الزهور تغارين  
وربيعاً .. وناي راع .. وتغريد  
وضحى يسكب الحياء بخديك  
وصباً تنطف الحلاوة من فيها  
وغيوماً تسيل على جانب البدر

الحوالي .. بكل عقد فريد  
ودنيا من الجميل الجديد  
عذارى على شفاه الورود  
ماتع النسق، ملهم التنضيد  
الإباحي، والشهوة العرييد  
والبسي الحُب، واخلمي، وعيدي  
وثاباً ... مستهتراً بالحدود  
لست تصحين من سلاف الوعود  
واعصري التيه من كروم الخلود  
ملء أذنيك صلصلات القيود  
عنان الذكرى .. لعهد سعيد  
وحياة .. لقلبك المكدود  
عليها من عبث لاه عيد  
طيور وصوت حاد بعيد  
لتوجيه .. سنة للوجود  
وتنسب ... خمره في الكبود  
طيوفاً، مفضضات البرود

وَلِدَاتٍ .. سَوَاجِدًا يَتَنظَّمْنَ  
 وَصَغَارًا .. يُدَوِّمُونَ حَوَالِيكَ  
 وَكِتَابًا .. وَضَجْعَةً فَوْقَ صَخْرٍ  
 وَمَسَاءً عَفَّ الْإِزَارِ .. وَكَهْفًا  
 وَرَفِيقًا يُعْطِيكَ مِنْ نَفْسِهِ الظَّلَّ  
 حُبَّهُ ... كُلُّ قَلْبِهِ ... وَكَفَاهُ  
 كَذِبَتِكَ الظَّنُونَ رَبَّ يَدَيَّ فَقِرِّ  
 رَبَّ عَطْفٍ أَحْلَى مَذَاقًا مِنَ الشَّهْدِ  
 وَحَنَانٍ بَرٍّ ... أَعَزَّ مَنَالًا  
 هَانَ قَلْبِي عَلَيْكَ يَا وَيْحَ قَلْبِ  
 يَا عَرُوسَ الْحَلِيِّ .. وَالْمَالِ ... وَالْجَاهِ  
 كَيْفَ تَمْسِينَ حِينَ تَعْصِفُ بِالْقَصْرِ  
 كَيْفَ يُضْحِي الْمَلِكُ الْمَزْخَرَفُ إِنْ  
 وَيْحُ نَفْسِي أَلْوَى عَلَى بُوْسَهَا الْعُتْبُ  
 فَاغْفِرِي لِي ... إِنْ الرَّزَايَا دَوَاهِ  
 أَنْتِ رُوحِي ... وَهَلْ أَرْجُو رُوحِي  
 وَيْلَ نَفْسِي مِمَّا أَكَابِدُ ... بَلْ وَيْلِي

\* \* \*



فَعُمري ... وهبته للخمور  
من السكر ... مثل لفتح الهجير  
وزدني عسى يموت شعوري  
وجئني .. بدننه المهجور  
ليردوا إلي .. عهد فُجوري  
ويطغى ... كالعاصفات هديري  
والبرق، وعُد .. قبل يقظة التفكير  
خمرة ... عرقها ... كنفح العبير  
والأغاريد .. والهوى .. والخبور  
رجوع .. إلى العذاب المير  
من الحب ... سكرة السكر  
ينغمض جفن .. على شواظ السعير  
وأسقيه ... من دمي المهذور  
ظلي ... ويلقى هداي ...  
وأبلى ... في الحر .. والزمهير  
وأفنى ... كالسّر ... بين القبور  
ووشي ... على نيوب الصخور  
نوحى ... وملّ سمعي زفيري

أنا صاح ... إليّ بالخمير يا ساقى  
إسقني .. أو ترى سحائب أنفاسي  
إسقني .. أو يموت في مقتلتي النور  
لا تخف يا غلام، واسط على الكوخ  
وادع لي قينة ... وفتية هوى  
فيثور الحنى ... ويجرف آلامي  
ويك .. أبطأت .. فاركب الريح  
عدت ؟ فاملاً كؤوسنا .. وأدرها  
خمرة الحسن .. والصبأ .. والفواغي  
الهوى ؟ ذكره .. رجوع إلى الدمع  
حطم الكأس .. يا غلام .. فلن تغني  
شعل السهد في جفوني ... وهل  
أنظري .. كيف أطعم القفر من لحمي  
أنظري ... كيف يجفل البدر من  
أنظريني ... أذوب في محجر الليل  
أنظري .. كيف تأكل الأرض أشلائي  
لي على الشوك من دمائي تهاويل  
والسواقي .. ملّت أنيني، وملّ السرو

وتفجرت... لهثة في فم السفح  
 بهدوئي.. في الموت.. رعشة زنديك  
 وبكائي منه... وهمسك: لا تحزن  
 بنعيم الأبرار... غفواتك البيض  
 بسرى الغيمة المرهقة السمراء  
 بهفيف الأريج... بين الرياحين  
 بحوار الأوراق في الفنن الرطب  
 وبأهلي خدر... وخلصه شكوى  
 ودعاب عف... وهمس... وبسم  
 وحنو على سقامي... وعتب  
 ذكريات رياء... نواعم كالفجر  
 يتنفضن كالأشعة في ليل  
 هذه وحدتي... كما كنت بالأمس  
 ظلم حوم... روائن في نفسي  
 ورعود... حمر... قواصف.. يهدرن  
 وذئاب.. خواطف.. يتناهبن  
 وطيوف.. صفر كوالح.. كالأغوال  
 من معيني على الهوى.. ونصيري

\* \* \*

يا شعوري يا حيّة تنفتُ السُّمَّ  
كَبُرَتْ فِيكَ عَلَّتِي، وتناهى  
وأكَبَّتْ عَلَيْكَ رُوحِي فَأَسْقَتَكَ  
أَيَّ عَرِقٍ لَمْ تَلْنَهُمْ، وَعَظُمِ  
شَهْدَ الْحَبِّ مَا تَرَكْتَ لِأَثْوَابِي  
أَعْطَنِي فِي الْهَوَى شَرَاباً حَمِيماً  
وَاخْنِقِ الشَّهْوَةَ الْبَرِيئَةَ فِي نَفْسِي  
مِنْكَ نَوْحِي وَفِي شَفَاهِكَ الْخَانِي  
فِي حَمِي الْحَبِّ لَا تَجْوَعُ وَلَا تَعْرِى  
لَوْ بَغِيرِ الْهَوَى يَطَاوِلُنِي الدَّهْرُ  
وَلَجَرَّرْتُ بُرْدَ لَهْوِي عَلَى الْبَدْرِ  
وَلَطَوَّفْتُ بِالنَّعِيمِ فَرَشَتِي  
وَفَرَشْتُ السَّحَابَ وَالرَّيْحُ تُزْجِيهِ  
وَنَسَجْتُ الْأَصِيلَ ثَوْباً وَنَقَشْتُ  
يُورِقُ الصَّخْرُ بِالْخِيَالِ وَتَعْنُو  
إِسْخَرِي .. يَا جِرَاحَ نَفْسِي  
أَشْمُوخٌ؟ .. وَفِي الْوَحُولِ جِبِينِي  
رَاوَدْتَنِي عَشِيرَتِي سَدَّةَ الشَّمْسِ  
فِيجْرِي فِي الْقَلْبِ مِنْ أَلْفِ نَابِ  
فِيكَ حَزْنِي، وَطَالَ فِيكَ عَذَابِي  
دِمَائِي ... وَأَطْعَمْتُكَ شَبَابِي  
لَمْ تَرْعِهِ بِعَاصِفٍ أَوْ شَهَابِ  
مِنْ الْجَسْمِ غَيْرِ جَلْدِ خَرَابِ  
وَاعْصُرِ السُّمَّ نَاقِعاً فِي شَرَابِي  
وَمَزَّقْ بِمِخْلَبِكَ .. رِغَابِي  
وَفِي رَاحَتِكَ خَمْرِي وَصَابِي  
وَهَاكَ .. التَّهْمُ وَجَرَّرَ إِهَابِي  
لَأَرْكُزْتُ فِي النُّجُومِ .. قَبَابِي  
وَلَطَمْتُ خَدَّهُ .. بَدْعَابِي  
حَسَانَ النَّعِيمِ .. بِالْأَطْيَابِ  
وَأَغْفَيْتُ فَوْقَ صَدْرِ السَّحَابِ  
حَوَافِيهِ .. بِالْنَدَى .. وَالْمَلَابِ  
لِجَنَاحِ الْخِيَالِ هَوْلُ الرَّحَابِ  
مِنْ غُرُورِي، وَجَنَّتِي، وَعَجَابِي  
وَفَخَارٌ؟ .. وَالْعَارُ مَلَأَ ثِيَابِي  
وَرَاوَدْتَهَا ... هَوَانَ التَّرَابِ

أحفل .. يمينَ الإلهِ .. بالأنسابِ  
فيه .. ملامتي .. وعقابي  
رجوعي إلى الهدى .. ومتابي  
عتابي .. وما لهم .. وعتابي  
في ثورة الرياح .. الغضابِ  
غنا .. منتفماً من رباب  
نفثاتٍ .. في لجةٍ من ضباب  
وطيفاً .. يُدميه فكُّ اليبابِ  
عذاباً .. على الصخورِ الصّلابِ  
أعدُّ قطيعتي .. واجتنبني ؟  
الحوالي .. عفو الوعود العذابِ  
عجفاءً .. منبوذةً على الأعشابِ !

وجحدتُ الأباةَ .. أهلي، ولم  
وأموراً .. وإنَّ منها لما يخلق  
إن يكنُ في الهوى ضلالي فهيهاتَ  
والهوى فتنةٌ .. فلا يُكثرُ الناسُ  
أتركوني .. فالليلُ يرتجلُ الخشيةَ  
أتركوني أهيمُ بظلمته القفرَاء  
أتركوني .. أنحلُّ شجواً وأغرقُ  
أتركوني .. روحاً يعذبُه النوءُ  
أتركوني أسلخُ شعوري وأسحقُه  
أرأيتِ الهوى أهالكِ ما ألقى ؟  
عَفَوْ طَيْبِ الحياة عفو أمانيكِ  
من أنا ؟ ما أكون ؟ سنبلَةٌ

\* \* \*

وهدي .. إلى الصراط القويم ؟  
وهذا .. ديبه .. في صميمي  
مرمىً للمستبد .. الظلوم ؟  
بلغت .. منتهى العذاب الأليم  
كفأ .. تسعى وراء النجوم !  
فراراً .. بحلمها المحموم  
سبيلاً .. إلى قرار الجحيم  
على ربه .. ثواب الكريم  
جرع .. من حناظل وسموم  
وسقمي .. وأدمعي وكُلومي ؟  
عن وجودي المشوه المسؤوم  
مقبلي .. سحائب من حميم  
تلمستُ مخبأً في الكروم  
يأنسن ظلي .. يعظفن بالتسليم  
برداً .. لحرّ قلبي الكليم  
أتتني عيني .. بخير عميم  
خيالاً .. أرجع بخوف الأثيم  
رنين الصهيل .. بين الغيوم

أتراه رجوع نفسي إلى اللحم  
أم تراها إيماضةً تسبق الموت  
لممي سخر مقلتيك أبعد الموت  
لممي سخر مقلتيك فروحي  
سلكت للنجوم كفي وما أخسر  
تنشر الفقر والدمار بمرقاها  
أنا أولى بالعطف لو يعلم العطف  
إنّ للبؤس حرمةً .. ولراعيها  
طفحت كأس شقوتي فشرابي  
من رأى حيرتي وبأسي وآلامي  
ليت حسن الفناء .. لم يتنفس  
مضجعي قسوة الصخور وأفياء  
وإذا .. رنق الأصيل بواديك  
فتفر الأطياف مني .. فإن  
متعّب مثلهنّ أنشد في الوحدة  
ولعلي إذا طرفت إلى الحيّ  
ومن يعتلج .. براية الحيّ  
في غد .. تصهل المهأر وينسأح

قطرات على بساط الأديم  
تتغنى .. سكرًا .. بعذبٍ رخيمٍ  
بورِدٍ .. وأبيضٍ مرقومٍ  
الموشى .. بألفِ حَلِيٍّ يَتِيمِ  
على وجهكِ الوضيءِ الوسيمِ  
وبالطيبِ .. آيةَ التكريمِ  
رَسِيٍّ الدِّعَامِ .. عالٍ فخيمِ  
على شعلةِ السَّراجِ الحطيمِ  
على آخرٍ .. حُنُورٍ رؤومِ  
إليه بسرِّنا .. المكتومِ  
خيالي .. بقدرةِ التَّجسيمِ  
وبعينيكِ .. عالمٍ من وجومِ  
إذا ما أظلَّ غصنكِ ريمي  
إلى ظلِّك الأليفِ الحميمِ  
فأوى .. مستأنسًا بالنسيمِ  
بسرِّ .. على فمي مختومِ  
بدرِّ .. في ثغره منظومِ  
لك من بعده .. حياةُ النعيمِ

\* \* \*

والزغاريد .. كالندى تتوالى  
والعدارى .. من كل مَيْلاءِ رِيًّا  
وحسانُ القُرى يروِّحُنَ للخيلِ  
وتلوحين .. فوق هودجك البدعِ  
وتحومُ العيون سكرى من الشوقِ  
ويرشون رسمَ خطوكِ بالوردِ  
وتحلينَ رأسَ أبيضٍ وضاءٍ  
في غدٍ .. يحرق الفراشُ جناحيه  
في غدٍ تنكرين جبي .. وتحنين  
وتشدِّينه إليكِ .. وتفضين  
وغدًا تلمحين من خلل الموتِ  
وتردِّين .. طرف عينيكِ عنه  
بالذي لا أقولُ يا أيكةَ الحيِّ  
فتولِّي حيناً .. فعاد به الشوقُ  
فتملِّي رِيًّا نسيمكِ .. فارتاعَ  
بالذي لا أقولُ يا أيكةَ الحيِّ  
بسنى خدِّه الأغرِّ .. بعينه  
بلِّغيه سلامَ صبِّ وقولي :

## كبوّة وانتفاضة

أَتعبتني، وشكّت جراحی  
يرقُبون مع الصبح  
فاليومَ وعدك للروح  
فلم يزل ملك الرياح  
أزفُ عالمها نُواحي  
في الربوع، ولا أقاحي  
في كأسِي ... وراحي  
وأحبسُه، بأحضانِ الملاح  
يَدي، وأسمعُها صياحي  
وعزّ إلقاء السلاح !

شيلي جناحك عن جناحي  
طيري ... فإخك في انتظارك  
روحي، اهربي من صحبتي  
مُدِّي جناحك للرياح  
وأنا .. أخطُّ إلى السفوح  
ذهبَ الربيعُ، فلا زنابق  
والموتُ ! هذا طيفُه السكرانُ  
... ماهمَّ ... أحمِلُه  
وأهزُّ في وجه الحياة  
جاوزتُ غايات الكفاح

\* \* \*

## الطلول الناطرة

بالله، بالإسلام، لا تبكي  
بنينا العربي، لا تُصغي  
مَنْ أَحْسَنْتَ يَدُهُ إِلَى  
...«السَّادَةُ» العُربُ الكرامُ  
الناطرون... ولا كرامة  
لا يفخرون... ولا يرون  
يا بُعدَه شرفاً عَصْرَناه  
يا خجلةَ الزَّهْوِ المقشِّرِ  
لو أسرجوا «بيت الوصي»  
لزَهتْ بهم مصرٌ، ولبنانٌ  
ومشوا بأظلالِ الفتوحِ  
لا تعجبي... أنا مَنْ يَدِي

على القُدسِ الشَّهيدِ  
إلى شكوى «العييد»  
«تُرك» وجلدَ على «يهود»؟  
الصَّابرونَ... على القيودِ  
كالطلولِ على الحدودِ  
الفخرَ... إلَّا بالجُودِ  
من... الماضي البعيدِ  
عن عظامِ في حُودِ  
وأجموا نَفْطَ السَّعودِ  
وصاحبةً... الوليدِ  
وتحت خافقةِ البُودِ  
خُبزي وفي زندي، جُنودي

\* \* \*



## صهيلٌ ولا حرب !

أدمشقُ، لبيك : السَّمَاوَاتُ  
أدمشقُ، لبيك : الصَّحَارَى  
أدمشقُ، لبيك : القَوَافِي  
لِسَوَادِ عَيْنِكَ، أَسْرَجُوا الْأَفْلَاكَ  
وَلَكُحْلِهَا عَصَبُوا جَبِينَ  
عَاشَ الْأَبَاةُ الْأَكْلُونَ  
الْفَارِشُونَ لِكَ الْبِلَادِ  
فَتَحَطَّطِي مِنْ .. فَوْقَهَا  
صَهَلَتْ خَيْولُكَ، فِي مَرَابِطِهَا  
... هَلْ أَرغَمَتْ بِصَهِيلِهَا  
الْعُلَى يُمَطِّرُنَ ... سَعْدَا  
كَالْبُحُورِ يَمْجُنَ أُسْدَا  
كَالْحَصَى وَالرَّمْلِ عَدَا  
أَسْرُوا الشُّهْبَ جُنْدَا  
الشَّمْسِ، حَوْلَ الْقُدْسِ، بِنْدَا  
الشَّارِبُونَ الذَّلَّ رَغْدَا  
بشعرِهِمْ، فَتَحَا وَمَجْدَا  
يَا بِنْتَ مِرْوَانَ ... الْمَفْدَى  
وَقَالَتْ : مُتُّ جُهْدَا  
أَنْفَاً، وَهَلْ حَرَّرْتِ عِبْدَا ؟ !

\* \* \*

## شيخ المرابين

دارٌ يُجَمَّلُ صدرها  
وحامةٌ بسطت جناحيها  
وشُجيرتا فُلٍّ، بوجه  
تتنفَّسانِ العطرَ، في  
مَنْ صاحِبُ الدارِ الجميلةِ  
زَحَرَ الشَّمالِ به وأسقطه  
فِيدَنَّ عبر سماننا وحشاً  
وحشٌ فريستهُ : مريضٌ  
أرأيتَ مُنكسراً على  
جثمتَ على عينيه  
وتهدَّلتُ أذُنَاهُ في  
أرأيتَه مسخَّحُ المسوخِ  
شيخُ المرابينَ العُتْلُ  
لِصِّ الدِّماءِ، يفيضُ

نَصْبٌ، وتمثالٌ عظيمٌ  
بقربهما ... تحومُ  
البابِ، زهرُهُما نُجومُ  
جَوِ يُرَقِّصُهُ .. النسيمُ  
شاعرٌ؟ لا.. لا. أئيمٌ!!  
فتَقْدِفُهُ ... التَّخومُ  
وما الوحشُ النَّهْمُ؟!  
أو فقيرٌ، أو يتيمٌ  
أضلاعه، فَمُهُ يَزومُ!  
مفرعةٌ تَهْمُ، ولا تقومُ  
وجهٍ يَعَضُّ به الجحيمُ  
الفاجرُ، الوغدُ، الزنيمُ  
السَّافلُ، النَّذلُ، الرَّجيمُ  
منها، بينَ أنمليه : النعيمُ!

## الشهيد

كوبُ الشهيد، من اللّظى المشبوبِ  
فاشربْ، ودع لسواك.. فضلَ لكوبِ  
سفه الزمان غفا، وأيقظ معشراً  
تركوا عجيب الحكم، غير عجيب  
وأدوا الكرامة، واحتموا بقميصها  
وأثوا عليه، بالدم المكذوب  
يسعُ الحياءُ النَّاسَ ... إلا قابعاً  
في الوحل، يمسح خدّه بالطيب  
أمنتُ بالظفر المخضب وجهه  
وغسلتُ، في ربّ الخضاب ذنوبي  
وكفرتُ بالنصل الرحيم، يسومُه  
جرح الكميّ، مذلة المغلوب  
أطعم يمينك، للهيب، عداوة  
وانظم شمالك، في نيوب الذّيب

واضرب جبين الشمس، إن تأنس به  
كبراً عليك، بأبيض مشطوب  
حقُّ الشهادة، أن تجرّ ذيوها  
حمراء، بين تنوفة وكثيب ...  
والمجد، أفتن ما يكون، قنيصةً  
علقت بحمر نخالبٍ ونيوب  
والموت، عارية الجهاد، فردّها  
بيد الكريم السّمح، ردّ طروب  
للأمس، في عينيّ، صورة أشمط  
فحلّ، حديد الشكّتين، صليب  
يُبلي بلاء الليث، عن أشباله  
ويعفُّ، عند تخطُّف المسلوب  
لبّي نداء السيف، يمسح غمده  
ومشى، ليوم في الزمان، عصب  
والموت، بين مقدّم ومؤخر  
ضرب، من التصعيد والتصويب  
وغلائل الصحراء، كل نقيعة  
بدم نعلٍ ظمأ الرمال، صيب

هيهات، من خُلِقَ الفحولة غُضبة

هدرت وقرّت .. في فم المحروب

والعار، من رَصَد الخطوب، لعائد

متوجّس .. من يومها المرهوب

تغنى الشعوب، وتسترد حياتها

بمجرّب، ثبّت الجنان .. مهيب

مرّ الشّكيمة، إن يهزّ قنّاته

هطلت بِصُوبِ قبائلٍ وشعوب

\* \* \*

## المارد الرجيم

شيطانةٌ وحشٌ، يهيج زئيرها  
خوفَ الرياح، فما تريد هبوبا  
خفت ولابتٌ، كالهواء، وصعدت  
شبحاً .. أطلّ، من السماء غريبا  
ترقى وترقى ... مارداً متشهباً  
تطوي جوانحها الرّحاب، وثوبا  
وتشول، ماثلةً، تخال شتاتها  
متجمّعاً، وسواءها مقلوبا  
حتى يموت، على السّمك، دويها  
وتجوز غاياتِ الفضاء ذهبوا  
وتغيب عن أوها منّا، ونظنها  
عدماً .. تراءت، في العلاء، كثيبا  
يغلي سُعار الموت، في أحشائها  
فتقيئه، منها لظى مشبوبا

ينشق عنها الغيم، تسبق صوتها  
فترده الدنيا .. صدىً موهوباً  
والأرض، تُلقمها الحديدَ حرائقاً،  
والجو، يُمطرها الحريقَ ثقوباً  
فترنحُ مطعونةً، وتلمّست  
بين المجاني، والغيوم، هروباً  
تسري وتسري، كوكباً متسرعاً  
يدنو ويدنو ... سمكها .. تصوباً  
وتلهثت لهثَ الشريد، أضلَّهُ  
رُغْبٌ .. فأبصره الشمالُ جنوباً  
فهوت مقطّعة الوتين، مهیضةً  
وانحطّ، منها، رهباً .. مكبوباً  
إني رأيت النارَ، تأكل قلبها  
والبحر يشربها دمياً وهيباً  
ورأيت، من شبه النسور، ولونها  
سرباً تجمّع، خائفاً مكروباً  
ورأيت أكساها، يفرّ وأزغباً  
متربصاً فيه الدروب، غضوباً  
يخفى ويظهر، حوله، فيميله  
ويقيمه، متحيراً مخلوباً

فإذا يهيم به فيذهب عزمه  
ويؤميته إرغامه تعذبا  
عرضت، لقانصه، حشود عصائب  
سدّت عليه، منافذاً ودروبا  
فاستروحت، عطر الخلود، حياته  
واستيقن الأمر البعيد قريبا  
فاختار أولها، فبجّس نارها  
بدمائمه .. وسقى الشهادة كوبا  
كرماً .. شبول سماننا .. فعرينةً  
منعوا .. ودرسا لقنوه .. عجيبا  
لكنّ حاضن مجدهم أغضى على  
حق الشهادة والشهيد سلبيا!  
فمن الشهادة، فكرة مغلولة  
في خاطرٍ حرٍ .. يهزّ قلوبا  
وعقيدة مسجونة، في كهفها  
توحي، فتبعث أمةً وشعوبا  
عار الأبوة، أن تجوعَ يتيمةً  
ويموت كافل رزقها .. مصلوبا

\* \* \*



## صحوة الجمر

سكر الزهو في خيالي ،  
فلوّحت إلى النجم طائراً بجناح  
وحسبت الهوى رعافة خمير  
مسحتها أنامي عن وشاحي  
سكرة الوهم ، كم أرفقت على سفحي  
وأزهت خدوده بالأقاحي  
كم ألانت أظفار شوكي ، فلا  
وعيون الورد ما ذكرت جراحي  
ليتها سمّرت على الليل أجفاني  
وذابت غفواً بنور الصباح  
هذه الرعشة المسقاة بالآهات  
من رثها دماً في صداحي  
وبقايا الدموع ، أيّ إليه  
سكبتها يده في أقداحي

ينعس الجمر في ظلال الرياحين  
ويصحو على شهيق الرياح  
أعرف الحبّ ، تيهَ فكري وحسيّ  
وضياعي في غدوتي ورواحي  
أعرف الحبّ نهشة السّم في جرحي  
ودفقَ اللّظى ببائي وراحي  
أعرف الحبّ مطفئ اللّهُو في  
ملعب أنسي ، معدّبي ، سفّاحي  
أعرف الحبّ أفعوانَ الدم الطامي  
ووحشَ القلوب والأرواح  
أعرف الحبّ ملهم الغيّ للنفس  
وموحي معاجز الأتراح  
أعرف الحبّ ، سرّ ضعفي وإحناء  
جيني ذلاً وخفضَ سلاحي  
هو في عينك المنعّسة الحوراء  
هذا الخفاء في الإلحاح  
هو في ثغرك المزرّ بالشهوة  
هذا اللّميّ التّؤوم الصّاحي  
هو جبيّ عرفته بشميم الحرق  
منه ، في البارد الفوّاح

أنا أسلمته إلى غفوة الطفل  
وضوّأتُ حوله... أفراحي  
ماله كيف نفضت عينه النوم  
ورفقت سخرأً على مصباحي  
لمّ جمرَ الماضي ، وذراه في مسمر  
ليلي وفي دروب مراحي  
عبر الأمسُ بالشهاقات ، بالآلام ،  
يهوي في موكب الأشباح  
بفلول من الطيوف حواليه ،  
رواغي الأشداق ، سودِ قباح  
ههُها في الضلوع غيظ البراكين  
وزخّم الأنواح في الأدواح  
أيها الفاتح المروى من الدّمع  
ويزهو بقسوة المجتاح  
لك هذا الحطام في خربة الصّدر  
وهذا الرّمادُ في كلّ ساح  
فهما قطرة السّلافة في الكأسِ  
ودربُ الحروف في سطرٍ ماحي  
حسبك اليوم أن تلمّ على مسكب  
فجرين : ثمريّ نُفاح

وعلى منهلين، من لهبٍ يسقي  
ويسقي، من محضن رحراح  
أو على مخمل، تعرّقه حمرة  
ومضٍ من كوكبٍ لمّاح

\* \* \*

## نسيان

نسي الحسنُ، أنه كان في نسي الحسن أنه كان، من بعض أنه كان ريشةً في جناحي نسيته خدوره ، في زواياها يا أغانيّ ذكّريه تَلَوِي شفتيه ذكّريه تجريح خديّه من شوكي كم ليال أغليتُ فيها وأرخصت أنا أهوى، نعم.. وأهواك أنا أهواك ، لا جناحي لواه عيّري خريف عمري فلن تمحي أنكريني فما أبالي على السفح أنكريني ، لن تُنزلي عن ذرى الأصال أنت، قول: ما أنت؟ بعض كؤوس أنت، حقاً، ما أنت، يا حبة العنقود أنت لم تبلغى بجوعك ما خلّفتُ

مطرح لهوي ، بقيةً في الدار رحيقي ومن شميم عراري وصدى زقوةً على منقاري خدوشُ نمتُ على أظفاري على حطام جراري وإحراق صدره في شراري جبينَ الهوى بشوكي وغاري يا ضلّة حسي وياهدى أشعاري الشيبُ في ملعبٍ ولا مضمار ربيع الجمال عن آذاري تلاقى تفتحي وازدهاري بندي وعن ذرى الأسحار الحان تومي بها يدا حمار راغت من أنمل العصار في الدرب من قشور ثماري \*

## سقوط ملاك

لا تقولي خدعتُه بالوجوم      أنا أدري بسرِّك المكتوم  
يا عروسَ العفاف، جسمك نذرُ      الله، لا متعة الغويِّ الرجيم  
أيّ طهر صبغت من دمه المطلول      أو حال عرضك المثلوم  
لا تنامي ينشقّ عن فمك الدامي      زئيرُ اللبوءة المغلِّيم  
لا تنامي يهبّ من خربة الصدر      نعيقُ الفجور والتأثيم  
واحذري أن يسيل في مسمع الليل      فحيحُ من شوقك المسموم  
عبثت رعدة الخناء بنهديك      خلال التسييح والترنيم  
أرجعتك الشهوات حمراء كالأمس      إلى بؤرة الغرام الئذيم  
وتلّوت في ساعديك منى الدنيا      ثعابين عهرك المفظوم  
وتعرّت في ناظريك الخطايا      وغلّت في الضلوع غليّ الحميم  
تنفثين الإغراء في مخدع السقم      فيشهى حتى أنين السقيم  
وتنام الأوجاع بين ذراعيك      ويغفو حيناً سعير الهموم  
لو فككت الأزرار عن فجوة      الصدر لضاقت معالم التّحريم

أو حللتِ الضفار عن ربة الشعر      لثارت روح الزنى في النسيم  
فاطرحي ثوبك النقي إلى الأرض      وفرّي بجسمك المحموم  
واتركي هيكل العبادة واذري      آخر الدمع في طريق الجحيم  
فغداً ينهش اللهب جناحك      وتموين من علاء النجوم !

\* \* \*

## ضجر

إشرب الدمع يا ضجر  
واطعم اللحم لا تدع  
أنت كالسيل جارف  
أنت أقوى من الهوى  
أنت جرح على فمي  
سأل من وردتي الشذى  
دُرْ بجنبني وعَضُّهُ  
مزق الصدر حانقاً  
هج بروحي زوابعاً  
قال قومٌ: هو القدر  
واعتصر من دمي سكر  
واعرق العظم، لا تذُرْ  
أنت كالجمر... مستعِر  
أنت أطغى من الفكر  
أنت في ناظري شرر  
صُبَّ في نهلي الكدر  
عَضَّة النَّصْل وانفجر  
أطفئ السَّمْعَ والبصر  
وامحُ عن عالمي الأثر  
كذبوا... أنت، لا القدر

\* \* \*



## قناة

لم يبق لي غير شعري  
ثلاثة لا ... أبالي  
الناس ، واطول هزئي  
والمال مسخ، فكفّي  
رضيتُ بالعيشِ جرّاً  
من تحته النهْرُ جارٍ  
وطائرٍ فوق غصنٍ  
وخطرةٍ من نسيمٍ  
فيغمر الحسنُ عيني  
وماء وجهي وشمري  
من بعدها أيّ خسر  
منهم ... ويأمرُ شمري  
منه على نارِ جذرٍ  
في ظل جبارِ صخرٍ  
بين اتئادٍ ... وطفيرٍ  
يشدو ملاحمِ سحرٍ  
تجلو وتصقل فكري  
ويُترع الوحي صدري

\* \* \*

## غريب

أنا في موطني غريبٌ وفي ديني  
وفي أمّتي غريبٌ ... غريبٌ  
أشهد الحق أنني مؤمن القلب  
وفي المكرمات حرٌّ مجيبٌ  
صُنْتُ نفسي وصُنْتُ فكري عن الرّيب  
فثوبى عَفٌّ .. وفكري أديبٌ  
أنا هذا فأَيُّ بَرْدٍ على جرحى  
إذا عَضَّ في جراحى لهيبٌ؟!!

\* \* \*

## سَمَّ الكبرياء

عاش في كهف سقامي وشقائي  
في فراشٍ حَضَنْتِ ألامه  
قال أصحابي وفي أعينهم  
غننا بالجرح ألوان المنى  
قلت: هذا ما تجرعتُ به  
كنت عطراً في بكائي هامراً  
أنا لا أسأل في جوع يدي  
شرفي أني إذا أظمـأني  
عاش في الغربة والديه إبانئ  
عزة النفس وزهد البؤساء  
أدب السُّخر وإحسان الرثاء  
واسقٍ من دمك أرواح الغناء  
في بلاد الذلِّ سَمَّ الكبرياء  
وجناحاً في سماء الشعراء  
من عبيد الجاه خبزي وجزائي  
لهبُ العيش تسقيتُ دمائي

\* \* \*

## توهم

قُلْتُ : في رفعة أخلاقي  
قُلْتُ : في ليني مع الناس  
قُلْتُ : أعطيتهم وأعطيتهم  
فتجمعت لهم ريشاً  
خلفوني شهقت سوداء  
قُلْتُ : لي بيتٌ ليأويني  
قُلْتُ : لي رزقٌ على جهدي  
قُلْتُ : لي حرיתי نعمةً  
منعوني هذه الدنيا  
كيف لا ... أخلع مني

حياتي ... ونجاحي  
شفاء من جراحي  
شبابي ... وطماحي  
فطاروا ... بجناحي  
في درب الرياح  
وجو ... لسراحي  
وعز في كفاحي  
ليلي ... وصباحي  
وهم دعوى سماح  
نسبي ، خلع وشاحي ؟

\* \* \*

# المحتوى

الصفحة

---

- نديم محمد... شاعر العناكب والألم ..... ٥  
لجنة الندوة
- نديم محمد الشعر والشاعرية ..... ٩  
د. محمد رضوان الداية
- قراءة نقدية في شعر نديم محمد ..... ٤٣  
أ. د. رياض العوادة
- نديم محمد وعصره ..... ٥٩  
مالك صقور
- نديم محمد .. فراشات فوق عناكب الألم  
البوح الصارخ الدال على الثقة المطلقة ..... ٩٧  
د . إسماعيل مروة

## مخارن شعرة

اختيار: خلود أحمد رسول

- ١١٧ ..... - ١ -
- ١١٩ ..... - ٢ -
- ١٢١ ..... - ٣ -
- ١٢٣ ..... - ٤ -
- ١٢٥ ..... - ٥ -
- ١٢٧ ..... كبوة وانتفاضة
- ١٢٨ ..... الطلول الناطرة
- ١٢٩ ..... سهيلٌ ولا حرب!
- ١٣٠ ..... شيخ المرابن
- ١٣١ ..... الشهيد
- ١٣٤ ..... المارد الرجيم
- ١٣٧ ..... صحوة الجمر

- ١٤١ ..... نسيان
- ١٤٢ ..... سقوط ملاك
- ١٤٤ ..... ضجر
- ١٤٥ ..... قناعة
- ١٤٦ ..... غريب
- ١٤٧ ..... سمّ الكبرياء
- ١٤٨ ..... توهم

الطبعة الأولى / ٢٠١٧م